

زينب علي خازم | Zeinab Ali Khazem*

تهجير الموتى بعد الدفن: قراءة أنثروبولوجية في العنف الإسرائيلي على المقابر في لبنان

Post-Burial Displacement of the Dead: An Anthropological Reading of Israeli Violence against Cemeteries in Lebanon

ملخص: تبحث الدراسة في العنف الإسرائيلي على المقابر في لبنان، من خلال حالتَي روضة شهداء عيناتا في الجنوب ومقبرة الرادوف في برج البراجنة، انطلاقاً من السؤال الأنثروبولوجي التالي: ماذا يحدث للموتى حين يُستهدف الموضع الذي استقروا فيه بعد الدفن؟ تعتمد الدراسة مقارنة أنثروبولوجية بصرية - مادية تستند إلى المعاينة الميدانية والمقابلات والصور الفوتوغرافية والأرشيفية والفضائية. وتقترح مفهوم "تهجير الموتى بعد الدفن"، لقراءة زعزعة العلاقة التي تثبت الجسد المدفون في موضع إقامته الجنائزية بعد استقرار الدفن، بما يشمل الحالات التي يبقى فيها الجسد في مكانه. وتكشف المقارنة أن هذه الزعزعة تتخذ صيغاً مختلفة، بحسب بنية الفضاء الجنائزي ونطاق الضرر، وأن إعادة التثبيت جزء من تاريخ العنف على الفضاء الجنائزي.

كلمات مفتاحية: العنف الإسرائيلي، المقابر، الفضاء الجنائزي، أنثروبولوجيا الموت، لبنان.

Abstract: This article examines Israeli violence against cemeteries in Lebanon through two cases: Rawdat Shuhada' Ainata in southern Lebanon and Al-Radouf cemetery in Burj al-Barajneh, Beirut. It asks what happens to the dead when the place in which they have been laid to rest is targeted after their burial. Adopting a visual and material anthropological approach, the article draws on field observation, interviews, photographs, archival photos, and aerial imagery. It proposes the concept of post-burial displacement of the dead to examine the destabilization of relations anchoring buried bodies in established funerary places, even in cases when bodies remain in place. The comparison shows that this destabilization varies according to the organization of funerary space and the scale of damage, and that restabilization forms part of the history of violence against such spaces.

Keywords: Israeli Violence, Cemeteries, Funerary Space, Anthropology of Death, Lebanon.

* باحثة دكتوراه في الأنثروبولوجيا، المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعة اللبنانية.

PhD researcher in Anthropology at the Doctoral School of Literature, Humanities and Social Sciences, Lebanese University. Email: zeinab.khazem@gmail.com

"حتى الموتى لن يكونوا في مأمن من العدو إذا انتصر"⁽¹⁾.

مقدمة

قبل التاسعة صباحاً، في 15 آذار/ مارس 2025، دخلتُ مقبرة الرادوف من مدخلها الشرقي، وكانت أول مرة أصل فيها إلى المقبرة بعد اتفاق وقف إطلاق النار. وتحت طائرة استطلاع إسرائيلية وصوتها المتواصل، مشيت على بلاط متكسر ونباتاتٍ مقتلعة، وتحت قدمي حصي و تراب وشظايا رخام وأكياس، وكان عليّ أن أراقب خطواتي بحذر. توقفت عند القطع الرخامية، بعضها يحمل حروفاً سوداء كاملة، وبعضها انكسر في منتصف الكلمة، قرأت آية الكرسي على رخامات كثيرة مبعثرة، كلمةً من هنا وأخرى من هناك، كأني أجمعها من قبورٍ متعددة. وقرأت اسم "محمد" ونقش "المرحوم" وتواريخ لم أعرف لأي قبر تعود كل واحدة منها، ثم رأيت شريطاً رخامياً منقوشاً عليه "يعلّم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون"⁽²⁾ مرفوعاً وموضوعاً فوق بلاطة سليمة في موضع ظاهر، لا أعرف من وضعه ولا زمان وضعه. أدت رأسي نحو عمق الجبانة (المقبرة)، هناك كانت قبورٌ ما تزال شواهدا ومزهرياتها منتصبه، لم يصبها شيء. وقفت بين ما بقي قائماً وما صار قطعاً متناثرة، وسألت: ماذا يحدث للموتى حين يُستهدف الموضع الذي استقروا فيه بعد الدفن؟

تفتح المقابر مدخلاً أنثروبولوجياً مكثفاً إلى المجتمعات من إحدى عتباتها الأكثر حساسية، حيث تنظم الجماعات علاقتها بموتاهها عبر الجسد، والمكان، والعلامة، والطقوس وأنماط الحضور المتجدد. يُثبت القبر الجسد في موضع محدد ويمنحه قابلية التعرف والزيارة والعناية، في حين تربط المقبرة هذا الموضع بشبكة أوسع من القرابة والانتماء والعناية والترتيب المكاني. ومن خلال "الشاهد"⁽³⁾ والنقوش والصور ومواد البناء والمسارات والمداخل والقبور المتجاورة، يتشكل الفضاء الجنائزي مجالاً اجتماعياً تستمر داخله العلاقة بين الأحياء والموتى بعد الدفن.

خلال الحرب الإسرائيلية على لبنان منذ عام 2024، لم تسلم هذه الفضاءات من دائرة العنف الممتدة، فقد لحقت الأضرار بمقابر شهداء ورياضهم، وأصابت القبور والشواهد والمسارات والحدود والمحيط العمراني الذي يمنح المقبرة موقعها داخل البلدة أو الحي. وتكشف هذه الأضرار أن أثر الحرب يمتد إلى المواضع التي استقرت فيها الأجساد بعد دفنها، وإلى الأنظمة المادية والرمزية والعلائقية التي تثبت صلتها بالأرض وبالأسماء والعائلات والجماعات التي تعرفها وتعود إليها. ويجعل ذلك من استهداف المقبرة تدخلاً في الشروط التي تثبت إقامة الموتى في المكان، ويتجاوز أثره توصيف الخراب المادي وحده.

(1) Walter Benjamin, "Theses on Philosophy of History," in: Walter Benjamin, *Illuminations: Essays and Reflections*, Hannah Arendt (ed.), Harry Zohn (trans.) (New York: Schocken Books, 1968), p. 255.

(2) الشريط مكسور عند هذه الكلمة من الآية، والنقش جزءٌ من آية الكرسي (البقرة: 255)، وهي من الآيات المتكررة على الشواهد والقبور في المادة الميدانية.

(3) الشاهد أو "الشاهدة" باللغة المحكية، جزء من أجزاء القبر، وهو علامة مادية قائمة أو مرتفعة فوق القبر، تدل على موضع القبر. يختلف شكل الشاهد من قبر إلى آخر، وبعض القبور لا ترتفع عندها شواهد، وقد يحمل الشاهد نقوشاً أو آيات قرآنية أو أبياتاً شعرية وتأريخية.

تنطلق الدراسة من هذا السؤال مقترحةً مفهوم "تهجير الموتى بعد الدفن" لفهم الأثر المكاني والعلائقي للعنف في المقابر. يشير المفهوم إلى زعزعة العلاقة التي تثبت الميت في مكان إقامته الجنائزية بعد أن يكون الجسد قد دُفن واستقرّ في موضع يُفترض أنه نهائي، ودخل في شبكة من العلامات والعلاقات والممارسات. وقد تتخذ هذه الزعزعة صورة نقل فعلي للجسد يفرضه العنف، أو صورة تهجير في المكان يبقى فيه الجسد في موضعه وتزعزع الشروط التي تجعل قبره معروفًا وقابلًا للوصول إليه والعناية به.

منهجياً، تستند الدراسة إلى ملاحظات وزيارات ميدانية أجريتها في مقبرة الرادوف في برج البراجنة في الضاحية الجنوبية لبيروت، حيث بدأت تتبّع الأضرار في آذار/ مارس 2025، وتابعت ذلك بزياراتٍ متقطّعة حتى أيلول/ سبتمبر 2026، وفي روضة شهداء عيناثا في جنوب لبنان، التي زرتها في حزيران/ يونيو 2024، وحزيران/ يونيو 2025، وكانون الثاني/ يناير 2026. تعتمد الدراسة أيضاً على مقابلات نوعية أجريتها في المرحلة الأخيرة من البحث. تشمل المادة الخاصة بعيناثا إجابات مكتوبة عبر واتساب لعضو في مجلس البلدية فضّل عدم ذكر اسمه، ومقابلة عبر رسائل صوتية على واتساب مع إحدى بنات شهداء البلدة، أُجريتاً يوم 8 أيلول/ سبتمبر 2026. أمّا في الرادوف، فتشمل المادة جولة ميدانية ومقابلة استغرقتا نحو ساعة ونصف الساعة يوم 14 أيلول/ سبتمبر 2026، مع مهندس من لجنة الوقف الجعفري يشرف على ترميم القسم الشرقي من المقبرة، وأحد القائمين معه على أعمال المسح والترميم. وتضمّ المادة البصرية صوراً من تصويري، ومواد بصرية ومقابلات واردة في مشروع التخرّج الوثائقي لريان بّسام بعنوان "بين الركن والمقام"، استخدمتها بإذنها، ومواد منشورة أخرى. وتُراعى في التحليل مواقع المتحدثين وسياقات إنتاج المادة الوثائقية والإعلامية. وتختلف شروط إنتاج المادة بين الحالتين تبعاً لإمكان الوصول إلى الموقع في مراحل الحرب المختلفة. فبينما أتاحت الرادوف معاينة مباشرة متكررة، تفاوتت إمكانية الوصول إلى عيناثا بين مرحلة وأخرى، واكتسبت الصور الأرشيفية والفضائية وإفادات أبناء البلدة أهمية أكبر، حينما تعذّرت المعاينة المباشرة. ويحدّد هذا التفاوت نوع المادة الممكن جمعها ودرجة التفصيل التي تسمح بها، ويشكّل جزءاً من شروط إنتاج المعرفة في زمن الحرب.

تشكّل الصور الفوتوغرافية والفضائية مادة بصرية ومكانية تتيح تتبّع تحولات الموقع عبر الزمن، من حيث حدوده، والركام، وحالة القبور والشواهد، ومسارات التدمير والترميم، مع مراعاة اختلاف دقة الصور وما تسمح به من تمييز للتفاصيل. وتستفيد هذه المقاربة من أدبيات المصادر المفتوحة التي تؤكد أهمية الجمع بين المادة الميدانية والمصادر البصرية والمكانية، ولا سيّما عند تعذّر الوصول المباشر، مع مراعاة شروط إنتاج الصورة وزمنها وموقع التقاطها⁽⁴⁾. وتتقاطع أيضاً، في نطاقٍ محدد، مع مناهج التحقيق البصري والمكاني المرتبطة بعمل المجموعة البحثية،

(4) Fred Abrahams & Daragh Murray, "Open Source Information: Part of the Puzzle," in: Sam Dubberley, Alexa Koenig & Daragh Murray (eds.), *Digital Witness: Using Open Source Information for Human Rights Investigation, Documentation, and Accountability* (Oxford: Oxford University Press, 2020), pp. 318–319; Micah Farfour, "The Role and Use of Satellite Imagery for Human Rights Investigations," in: Dubberley, Koenig & Murray (eds.), p. 233.

العمارة الجنائية Forensic Architecture، من خلال جمع الصور والخرائط والشهادات وغيرها وربطها بالموقع والزمن ومقارنتها لإعادة بناء آثار العنف ضمن بناء معرفي مركّب، مع بقاء المادة المرئية محتاجة إلى التفسير والمقارنة بمصادر أخرى⁽⁵⁾.

ويقوم تحليل المادة على تتبّع التحوّلات في كل موقع عبر الفترات التي تغطيها المصادر، ومقارنة الملاحظات الميدانية بالصور وإفادات المعنيين. وتتظلم القراءة حول ما أصاب العلامات، والعلاقات المكانية داخل المقبرة ومحيطها، والجسد المدفون والبنية التي تصونه، وما يقابل ذلك من أعمال الترميم واستعادة المعرفة بالقبور وممارسات الزيارة والعناية. ثم تُقارَن الحالتان، من حيث نطاق الضرر والروابط التي تعطلّت أو أُعيدَ وصلها، مع مراعاة تفاوت المادة المتاحة بين الموقعين ومراحل الحرب.

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنّ موضوع هذه الدراسة يتصل بموقعي داخل الميدان، فقد عرفتُ بعض المقابر قبل أن تصبح موضوعاً لبحثي، ودخلتها زائرة ومشاركة في الدفن وإحياء الذكرى، ثم تداخلت هذه الخبرة مع الملاحظة والتدوين والتصوير بعد تحوّلها إلى موضوع للدراسة، بحيث شكّلت الملاحظة بالمشاركة جزءاً من المنهج. وأتاحت هذه الموقعية معرفةً باللغة المحلية المرتبطة بالموت والدفن والزيارة، وبطرائق الحركة داخل الفضاء الجنائزي والتعامل معه، من دون افتراض معرفة مسبقة بتفاصيله؛ إذ ظلّت هذه المعرفة جزئية وخاضعة للتحقق والمقارنة بمصادر أخرى⁽⁶⁾. ومن هنا ميّزت الدراسة بين ما عاينته مباشرة، وما تسنده الصورة، وما يرد في الشهادات والمصادر المحلية، وما يحتاج إلى إسناد مستقل؛ وهو تمييز تزداد أهميته في سياق الحرب وتفاوت إمكانات الوصول إلى المواقع. وتؤدي الدراسة، إلى جانب وظيفتها الأنثروبولوجية، وظيفة توثيقية تحفظ آثار التحوّلات المادية والبصرية للفضاء الجنائزي وشهاداتها، مع مراعاة حرمة الموتى وخصوصية الأحياء، وإبلاغ المشاركين بأن إفاداتهم ستستخدم في مقال معدّ للنشر والحصول على موافقتهم الشفهية على ذلك، وحجب أسماء المشاركين في المقابلات التي أجريتها، واستخدام المواد الخاصة بإذن أصحابها، وقصر الشهادات والصور على ما يخدم السؤال البحثي.

(5) Andrew Barry, "Collective Empiricism and the Material Witness," *Journal of Visual Culture*, vol. 20, no. 3 (2021), pp. 494–495.

(6) تتصل هذه الموقعية بالنقاش الأنثروبولوجي حول موقع الباحث الجواني/ البراني Insider/ Outsider، الذي أبرز تعدّد علاقات القرب والمسافة، بحسب السياق والتكوين الأكاديمي والخبرة السابقة وعلاقات القوة. تتيح الألفة بالميدان معرفةً ببعض الممارسات والمعاني، مع بقاء هذه المعرفة جزئية ومتأثرة بالعلاقات التي نشأت ضمنها، كذلك يُدخل العمل البحثي أسئلةً وأدوات تحليلية تعيد تأطير الخبرة السابقة وتغيّر علاقة الباحث بما كان مألوفاً لديه. في هذه الدراسة، أسهم التداخل بين خبرتي السابقة ببعض المقابر والعمل البحثي في فهم بعض معاني المكان وممارساته، واستلزم الانتباه إلى حدود الخبرة الشخصية وإلى أثرها في اختيار المشاهد والشهادات وتأويلها. ينظر:

Kirin Narayan, "How Native Is a 'Native' Anthropologist?" *American Anthropologist*, vol. 95, no. 3 (1993), pp. 671–686; Sonya Corbin Dwyer & Jennifer L. Buckle, "The Space between: On Being an Insider–Outsider in Qualitative Research," *International Journal of Qualitative Methods*, vol. 8, no. 1 (2009), pp. 54–63; Lila Abu Lughod, "Writing Against Culture," in: Richard G. Fox (ed), *Recapturing Anthropology: Working in the Present* (Santa Fe: School of American Research Press, 1991), pp. 137–162.

تركز الدراسة في تحليلها على حالتين في لبنان: روضة شهداء عيناثا في الجنوب، ومقبرة الرادوف في برج البراجنة في الضاحية الجنوبية لبيروت. تمثل الأولى فضاءً جنازياً منظماً حول الشهادة، ارتبط بتاريخ البلدة وبحضور شهدائها وبشبكة من الرموز والممارسات المرتبطة بهم، ثم تعرض لدورات من التدمير وإعادة التثبيت في سياق الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان⁽⁷⁾. أما الرادوف، فهي مقبرة محلية أقدم وأكثر تراكمًا، تتجاوز فيها طبقات من الدفن المتعاقب، ويأخذ الدفن القروي فيها غالباً شكل دفن أفراد العائلة الواحدة في القبر نفسه على مستويات متعاقبة، إلى جانب قبور الشهداء، ومقام ديني محلي داخل برج البراجنة الذي تشكل تاريخياً عبر تحولات سكانية وعمرانية واجتماعية متعددة. يتيح اختلاف الحالتين اختبار أثر العنف في نمطين من تنظيم إقامة الموتى: روضة جماعية للشهداء داخل بلدة جنوبية لحق بنسيجها دمار واسع، ومقبرة تراكمية داخل نسيج مديني كثيف أصابها ضررٌ جزئي ومتفاوت. وتتأسس المقارنة على اختلاف الموقعين في بنية الفضاء الجنائزي وفي مسارات التعافي اللاحقة، بما يتيح تتبع أثر هذا التفاوت في كيفية زعزعة إقامة الموتى وإعادة تثبيتها. ففي كلٍّ منهما، يعمل الضرر داخل بنية مختلفة، وتتخذ إعادة التثبيت مساراً مختلفاً تبعاً لذلك. ومن خلال هذا التفاوت، يتحوّل سؤال التدمير إلى سؤالٍ آخر: كيف يُعاد وصل الموتى بمكان إقامتهم بعد أن يكون العنف قد زعزع هذه الصلة؟

تنظّم الدراسة محاولة الإجابة عن هذا السؤال عبر ثلاثة مسارات تحليلية مترابطة: محو العلامات، وتفكيك الفضاء الجنائزي، والمساس بالجسد المدفون وحرمة موضعه. ونُقرأ هذه المسارات عبر خمسة أبعاد: المادي، والرمزي، والعلائقي، والمعيش (الممارس)، والزمني. بذلك، تتوزع الدراسة على أربعة أقسام، يقدم القسم الأول إطاراً أثروبولوجياً وتحليلياً لفهم الجسد والقبر والحرمة والإقامة بعد الدفن، ويضع المفهوم المقترح "تهجير الموتى بعد الدفن" في حوارٍ مع أدبيات العنف على الموتى والمحو المكاني والأدبيات الفلسطينية ذات الصلة. ويعرض القسم الثاني السياق المحلي وتشكّل الفضاء الجنائزي في الموقعين المدروسين. ويقرأ القسم الثالث الحالتين عبر مسارات الضرر وإعادة التثبيت. في حين يناقش القسم الرابع المساهمة المفهومية للدراسة وحدودها، ويسأل عما يضيفه "تهجير الموتى بعد الدفن" إلى فهم العنف الإسرائيلي على المقابر حين يمتد أثره إلى الجسد والعلامة والفضاء واستمرار العلاقة بين الأحياء وموتاهم.

أولاً: أثروبولوجيا المقابر: الجسد والحرمة والإقامة بعد الدفن

تنظر أثروبولوجيا الموت إلى الموت في امتداده الاجتماعي والطقوسي، من توقف الجسد عن الحياة إلى تنظيم انتقاله ودفنه واستمرار العلاقة به بعد الدفن. فقد بيّن أرنولد فان جنيب، في تحليله لطقوس العبور، أن الانتقال بين الأوضاع الاجتماعية ينتظم عبر ثلاث حركات مترابطة: الانفصال، والمرحلة

(7) بدأت المواجهات الحدودية في 8 تشرين الأول/أكتوبر 2023، واتسعت الحرب على لبنان في أيلول/سبتمبر 2024، ثم تجددت على نطاق واسع في آذار/مارس 2026.

الهامشية، ثم الإدماج أو التجميع في وضع جديد⁽⁸⁾. وفي الطقوس الجنائزية، تمرّ علاقة الجماعة بالميت عبر سلسلة من الممارسات تشمل تجهيز الجسد، والتشييع والدفن، والحداد، ثم أشكال الزيارة والعناية اللاحقة بالقبر. يثبت الدفن، ضمن هذا المسار، انتقال الميت إلى وضع اجتماعي ومكاني جديد، ويمنحه موضعاً تستمر العلاقة به من خلاله⁽⁹⁾. وتظهر أهمية المكان في هذه السيرة من خلال الحدود والعتبات والممرات التي تنظم الانتقال؛ ففي حديثه عن "الانتقال المادي" Le passage matériel، يشير فان جنيب إلى أن العبور يتحقق عبر عتبات وحدود وأبواب ومناطق ذات حرمة، تنظم الدخول والخروج والانتقال بين المجالات⁽¹⁰⁾.

من هذا المدخل، يمكن قراءة المقبرة بوصفها فضاءً عتبياً تنظم داخله العلاقة بين الأحياء والموتى، عبر حدودها ومسارات الدخول إليها والخروج منها، وما يرتبط بها من علامات وممارسات تضبط الزيارة والتعامل مع موضع الميت. ويغدو القبر، ضمن هذا الفضاء، موضع استقرار للجسد بعد الدفن؛ إذ يثبت الميت في موضع جديد، وتمنح العلامات والممارسات اللاحقة هذا الموضع قابلية التعرف والزيارة؛ ليصبح القبر نقطة التقاء بين الجسد المدفون والعلامة الدالة عليه والعلاقة الاجتماعية التي تستمر من خلاله.

يتشكل هذا المكان من تداخل الجسد والعلامة والعلاقة، فالقبر يضمّ الجسد في موضع محدد، وتمنحه الشواهد والبلاطات والأسماء والتواريخ والصور والنقوش والآيات والرموز قابلية التعرف. ويعمّق لوي-فانسان توماس هذا المستوى من التحليل، من خلال تناوله الموت واقعةً مجتمعيةً، تطبعها الجماعة بتمثيلات وقواعد ومؤسساتها⁽¹¹⁾. ويتيح مدخله السيميائي قراءة الموت عبر أنظمتها الدلالية والرمزية⁽¹²⁾، وانطلاقاً من هذا المدخل، تقرأ الدراسة العلامات الجنائزية (الاسم، والصورة، والنقش، والشاهد، والبلاطة)، في الحالتين المدروستين، وسائط تربط الجسد المدفون بموضع قابل للتعرف والاستدلال عليه. وهي عناصر تعمل معاً، فالمقبرة فضاءً مادي ورمزي وعلائقي في آن، على النحو الذي تقترحه أفريل مادريل وبريندا ماتيسن؛ إذ تربطان التنظيم المكاني للمقبرة بماديتها وتمثيلات وممارساتها، وتدرسان النصوص والأيقونوغرافيا والعلامات على القبور، إلى جانب العلاقات المستمرة بين الأحياء والموتى⁽¹³⁾. وتظهر أن القبر يحدد مادياً موضع الرفات، ويحمل في الوقت نفسه دلالات الهوية والانتماء، وأن الزيارة وتزيين القبر والعناية به والصلاة للميت والدعاء له تدخل في استمرار العلاقة بين الأحياء والموتى⁽¹⁴⁾. ومن هذا المنظور، تدخل القبور والشواهد والحدود والمسارات،

(8) Arnold van Gennep, *Les rites de passage* (Paris: Picard, 2011), p. 21.

(9) Ibid., p. 230.

(10) Ibid., pp. 30, 33-34.

(11) Louis-Vincent Thomas, *Anthropologie de la mort* (Paris: Payot, 2010), pp. 67-68.

(12) Ibid., p. 399.

(13) Avril Maddrell & Brenda Mathijssen, "Situating the Dead: Cemeteries as Material, Symbolic, and Relational Space," in: Jeanne Halgren Kilde (ed.), *The Oxford Handbook of Religious Space* (New York: Oxford University Press, 2022), pp. 525-528.

(14) Ibid., pp. 539-540.

إلى جانب الأسماء والصور والنقوش والآيات والرايات، في تشكيل الفضاء الجنائزي مادياً ودلالياً وعلائقياً. وتعمل المقبرة، في التحليل المقترح هنا، نظاماً للموضوعة والتعرف: تثبت الجسد في مكان، وتجعل موضعه قابلاً للاستدلال، وتوفر للزيارة والرعاية مسارات تعيد وصل الأحياء بالموتى.

يكتسب القبر في السياق المحلي للحالتين معنى معيارياً يرتبط بحرمة الميت. وتظهر هذه الحرمة في أنماط التعامل اليومي مع القبر والمقبرة، كما نجد سنداً فقهياً في الأحكام المتعلقة بصون جسد الميت وموضع دفنه، فيرد الضحك في المقابر والمشي على القبر من غير ضرورة ضمن مكروهات الدفن، ويحرم هتك حرمة الميت ونش قبر المسلم إلا في موارد مستثناة ومحددة⁽¹⁵⁾. ويفيد هذا التمييز في قراءة الضرر الذي يلحق بالقبور، لأن تضرر موضع الجسد أو احتمال كشفه يدخل ضمن منظومة محلية وفقهية تستمر فيها حرمة الميت وموضع دفنه بعد الدفن. وتظهر استمرارية هذه العلاقة في ممارسات عايتها خلال عملي الميداني المتكرر في المقابر. تشمل هذه الممارسات زيارة القبر، وقراءة الفاتحة، والعناية بمحيطه، ووضع الزهور والشموع والرسائل، والعودة إليه في مناسبات الوفاة أو الاستشهاد وفي أزمنة الزيارة الدورية.

وتمنح شهادة إحدى بنات شهداء عيناثا هذه العلاقة صيغة يومية مباشرة، ففي وصفها للروضة خلال فترة الإسناد⁽¹⁶⁾، ذكرت أنها كانت "محطتنا الأولى بس نوصل والمحطة الأخيرة قبل ما نمشي". ثم أضافت أن المهم بالنسبة إليهم هو أن "تكون بيناتهم". تكشف هذه الشهادة كيف يمكن أن تدخل الروضة في إيقاع الحياة اليومية للعائلة، وأن يتحول القبر من موضع دفن إلى نقطة عودة متكررة وعلاقة معيشة⁽¹⁷⁾. وتستند هذه الملاحظات إلى المعاينة الميدانية المباشرة، بينما توثق المادة البصرية بعض آثارها المادية في القبور، وتقرأ كل مادة وفق شروط إنتاجها؛ فالصورة تسند ما يظهر فيها مادياً، وتستند ممارسات، مثل قراءة الفاتحة والطرق على البلاطة الخارجية وحركة الجسد الزائر، إلى المعاينة المباشرة. ولهذه الممارسات تاريخ محلي مدون يسبق المعاينة الراهنة.

يصف قاسم سمحات، في دراسته لعيناثا، طقوساً جنازية كانت سائدة في البلدة وفي جبل عامل عموماً ثم تراجع، من بينها ذهاب النساء عصرًا إلى الجبانة لتكريم الميت بوضع البخور على عيدان وإشعالها، وانتظامهن في حلقة يرددن وراء "القوالة" أراجيز الحزن والمواساة، إلى جانب ما كان يرافق ذكرى الأسبوع من دعوة أهل البلدة المشاركين فيها إلى الطعام في البيوت أداءً للواجب الاجتماعي تجاه أهل المتوفى⁽¹⁸⁾. ويوضح هذا أن الجبانة شكّلت تاريخياً موضعاً لممارسات متكررة، يتجدد من

(15) "فصل في مكروهات الدفن"، الكتب الفتوائية، التعليقة على العروة الوثقى، ج 1، موقع مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني، شوهف في 2026/9/6، في: <https://acr.ps/hBxVKaX>

(16) يُستخدم تعبيراً "جبهة الإسناد" و"معركة أولي البأس" في الخطاب المحلي اللبناني، للإشارة إلى "معركة جبهة الإسناد" التي خاضها حزب الله إسناداً لغزة بدءاً من 8 تشرين الأول/أكتوبر 2023، ومن بعدها "معركة أولي البأس" ضد العدوان الإسرائيلي على لبنان في أيلول/سبتمبر 2024، التي انتهت جولتها الأولى يوم 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2024، لتبدأ الجولة الثانية منها يوم 2 آذار/مارس 2026، وهي مستمرة حتى زمن كتابة هذه الدراسة.

(17) ابنة شهيد من عيناثا، مقابلة عبر الرسائل الصوتية على واتساب، 2026/9/8.

(18) قاسم محمد سمحات، عيناثا: قمة في جبل عامل (نوافذ على التاريخ والتراث) (بيروت: دار المحجة البيضاء، 2009)، ص 185-186.

خلالها حضور الميت داخل جماعته، وأن أشكال هذه العلاقة تتحوّل مع تغير الشروط الاجتماعية للبلدة. ومن هذا المدخل، يمتد البعد الزمني في الشبكة التحليلية إلى ما يسبق العنف؛ إذ يدخل العنف على إقامة جنازية لها تاريخها الخاص من الاستقرار والتحول. ولا تنتظم الممارسات الجنازية في البيئات الشيعية على صيغة واحدة؛ إذ تتفاوت بحسب الموقع الجغرافي والانتماء الاجتماعي والسياسي، كما تبيّن سابرينا ميرفان في دراستها لطقوس الجسد والحداد. وهذا التفاوت هو ما يستدعي قراءة كل فضاء جنازي في شروطه المحلية بدلاً من ردّه إلى نموذج عام⁽¹⁹⁾.

تكتسب رياض الشهداء، ضمن هذا السياق، كثافة علائقية ومكانية إضافية؛ ففيها تتداخل القرابة الدموية - الرحمة⁽²⁰⁾ مع شكل من القرابة الرمزية - الأيديولوجية⁽²¹⁾، تنتجها مكانة الشهيد داخل الجماعة. ويظهر ذلك في منطق تنظيم الفضاء الجنازي نفسه؛ إذ يجمع معيار الشهادة موتى ينتمون إلى عائلات وبيوت مختلفة داخل فضاء واحد، فيبقى الشهيد داخل قرابته ونسبه، ويأخذ في الوقت نفسه موقعاً داخل جماعة الشهداء. وتظهر هذه الرابطة كذلك في ممارسات الزيارة؛ فقد يقصد الزائر شهيداً لا تربطه به صلة نسب مباشرة، وقد يقصد الروضة كلها فضاء دينياً وجماعياً. وتدل القرابة الرمزية - الأيديولوجية هنا على علاقة رمزية تنتج أشكالاً من القرابة.

وإذا كانت الإقامة الجنازية تتشكّل، عبر تثبيت الجسد في موضع تعرفه الجماعة وتعود إليه، فإن تعرّضها للعنف يضع استمرار هذه العلاقة موضع سؤال⁽²²⁾، ويجعل حضور الجماعة الذي تشهد عليه المقابر عرضةً للمحو⁽²³⁾. وتظلّ مادية الجسد أساسية في فهم ما يصيب هذه الصلة؛ فمعاملة الجثث بطرائق مهينة أو تدينسية أو غير إنسانية، قد تُنتج أشكالاً إضافية من العنف⁽²⁴⁾. من هذا المنظور، يقتضي النظر إلى الإقامة الجنازية تتبّع الضرر الذي يلحق أيضاً بالعناصر التي تصون الجسد وتدلّ عليه. بذلك يصبح السؤال: كيف تتزعزع إقامة الميت حين ينكشف جسده، أو حين تنفصل علامة قبره عن موضعها، أو يتعدّر التعرّف إلى القبر والوصول إليه، حتى مع بقاء الجسد مدفوناً؟

(19) Sabrina Mervin, "Les larmes et le sang des chiites: Corps et pratiques rituelles lors des célébrations de 'ashûrâ' (Liban, Syrie)," *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, no. 113-114 (2006), pp. 153-154, 163-164.

(20) أستخدم تعبير القرابة الدموية - الرحمة للدلالة على القرابة المباشرة القائمة على النسب.

(21) طورت مفهوم القرابة العصبية - الأيديولوجية في عمل بحثي سابق، للإشارة إلى منطق الدفن الذي تنتجه الشهادة في روضة الشهيدين في بلدة الغييري في الضاحية الجنوبية لبيروت، حيث يجتمع الشهداء داخل فضاء جنازي واحد وفق رابطة تتجاوز النسب المباشر. ويُعاد توظيف الفكرة في هذه الدراسة بصيغة القرابة الرمزية - الأيديولوجية، بما يركز على طبيعتها الرمزية والجماعية من دون تحميلها الدلالات النظرية الأوسع لمفهوم العصبية. ينظر: زينب خازم، "إقامة الشهداء: نموذج مقبرة روضة الشهيدين" - الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت (دراسة حقلية إثنوغرافية)، رسالة دراسات معمّقة غير منشورة، معهد العلوم الاجتماعية، الجامعة اللبنانية، بيروت، 2019.

(22) ينظر:

Katherine Verdery, *The Political Lives of Dead Bodies: Reburial and Postsocialist Change* (New York: Columbia University Press, 1999), pp. 106-107.

(23) Noa Krikler, "Killing the Dead: The Logic of Cemetery Destruction during Genocidal Campaigns," *Nations and Nationalism*, vol. 29, no. 4 (2023), pp. 1338-1339.

(24) Jason De León, *The Land of Open Graves: Living and Dying on the Migrant Trail* (Oakland: University of California Press, 2015), pp. 68-83.

تعمّق الأدبيات الفلسطينية البُعدين المكاني والسياسي؛ فالمصادرة والهدم وتفتيت المجال وتقييد الحركة، في سياق الإبادة المكانية Spacio-cide، تصيب الشروط التي تجعل البقاء في المكان ممكناً⁽²⁵⁾. وتظهر مادية هذه السيطرة في حالة مقبرة مأمن الله في القدس، حيث يتداخل التخطيط والبناء وعمل السلطات البلدية والأثرية في التدخل في القبور وما تحت الأرض⁽²⁶⁾. وتُقرأ هذه الممارسات على أنها تدخل في صلة الأجساد المدفونة بالأرض والتاريخ، وفي حضور الجماعة الذي تثبته المقبرة⁽²⁷⁾. ويشكّل احتجاز الجثامين وجهاً آخر لهذه السيطرة بما ينطوي عليه من عقاب يتجاوز الميت إلى العائلة والجماعة، عبر التحكم في إمكانات الحداد وممارسته⁽²⁸⁾. ويعيد احتجاز الجثامين وشروط تسليمه وتشيعه تشكيل زمن الموت وعلاقة الأهل بالميت، وتكشف هذه الممارسات الطابع الدائري لانتقالاته الاجتماعية والسياسية، بما يعقد تصوّر أن العبور الجنائزي يتّخذ مساراً خطياً ينتهي بالدفن⁽²⁹⁾.

ويمكن التمييز تحليلياً بين صورتين رئيسيتين لتهجير الموتى بعد الدفن⁽³⁰⁾؛ نقل فعلي لجسد أو رفات سبق أن استقر في موضع نهائي، أو اضطراب العلاقة بموضعه مع بقاءه فيه، وتتحدد كلّ صورة بأثر العنف في شروط الإقامة الجنائزية. ويقتضي ضبط هذا الحدّ التمييز بين تهجير الموتى بعد الدفن ودفن الوديعة⁽³¹⁾. فالوديعة ترسم الحدّ المقابل لهذه الزمنية؛ فهي إقامة جنائزية مؤقتة يكون الانتقال اللاحق جزءاً من ترتيبها منذ البداية، وينطلق تهجير الموتى بعد الدفن من إقامة استقرّت ثم يتدخل العنف في زرعته. وحين يفرض العنف اللجوء إلى دفن الوديعة، تفتح هذه الممارسة سؤالاً عن تهجير الموتى قبل الدفن النهائي، وتستدعي أبعاده الفقهية والطقسية والاجتماعية معالجة مستقلة.

تُصاغ هذه المفاهيم في سياق حربٍ مستمرة، تزامن فيه الكتابة عن الموتى مع فقدٍ يتجدّد ومقاومة الأحياء للعنف الذي يستهدف حياتهم وصلتهم بأرضهم وموتاهم. وتضع هذه المزامنة البحث أمام

(25) Sari Hanafi, "Explaining Spacio-cide in the Palestinian Territory: Colonization, Separation, and State of Exception," *Current Sociology*, vol. 61, no. 2 (2013), pp. 191–193.

(26) Aya Hijazi, "Toward Spacio-cide: Building the Museum of Tolerance over the Mamilla Cemetery in Jerusalem," *Jerusalem Quarterly*, no. 67 (Autumn 2016), pp. 97–100, 102–106.

(27) Nadera Shalhoub-Kevorkian, "Criminality in Spaces of Death: The Palestinian Case Study," *British Journal of Criminology*, vol. 54, no. 1 (2014), pp. 39–40, 50.

(28) Nadera Shalhoub-Kevorkian, "Necropenology: Conquering New Bodies, Psychics, and Territories of Death in East Jerusalem," *Identities*, vol. 27, no. 3 (2020), pp. 286–290.

(29) سهاد ظاهر – ناشف، "الاعتقال الإداري للجثامين الفلسطينية: تعليق الموت وتجميده"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 107 (صيف 2016)، ص 21–22، 29.

(30) يستلزم هذا النقل المفهومي مراعاة خصوصية تجربة تهجير الأحياء وثقلها التاريخي والإنساني. ويُستخدم "التهجير" هنا أداة مكانية – علائقية لتحليل اضطراب الإقامة والموضوعة بعد الدفن.

(31) يُستخدم مصطلح الوديعة محلياً في سياقات الحرب للإشارة إلى دفن مؤقت لجثمان يتعذر نقله إلى بلدته أو مقبرته المقصودة. وفي تقرير ميداني عن مقابر الوديعة في جنوب لبنان، يشرح الشيخ كاظم شمس أن الوديعة مشتقة من الإيداع؛ بمعنى ترك الأمانة في مكان، وأن الجثمان يُدفن وفق ترتيبات الدفن المعتادة داخل صندوق خشبي معد لهذا الغرض، بحيث يمكن نقله كاملاً لاحقاً، ويصفه بـ "قبر متنقل". غفران مصطفى، "فيديو مقابر الودائع في لبنان: دفن مؤقت بانتظار العودة إلى مسقط الرأس"، الميادين، 2026/4/9، شوهد في 2026/9/6، في: <https://acr.ps/hBxVK7e>. وتتفق هذه الدلالة مع ما أوضحته إحدى المشاركات عن عمّها الذي دُفن مؤقتاً في بلدة جويّا في الجنوب، ثم نقل إلى جبانة البلدة بصفة وديعة قبل دفنه النهائي في روضة الشهداء في 22 شباط/فبراير 2025.

إشكالية المسافة التي يُنشئها التحليل إزاء معاناة ما زالت تُعاش، وما قد يحجبه التجريد المفهومي من خصوصية الموتى وعلاقات الأحياء بهم. ويقتضي ذلك إبقاء هذه الاعتبارات حاضرة في بناء المفهوم وتأويل المادة، مع الإقرار بأن المعرفة المنتجة تظل جزئية ومفتوحة على المراجعة في ميدان يستمرّ العنف في تغييره. ولتتبع مظاهر هذا الاضطراب داخل الفضاء الجنائزي، تعتمد الدراسة ثلاثة مسارات تحليلية مترابطة.

ينتظم المسار الأول حول محو العلامات؛ أي إضعاف المؤشرات (الاسم، والشاهد، والبلاطة، والصورة، والنقش، والآية، والراية، والرمز الديني/السياسي)، التي تجعل القبر قابلاً للتعرف. يصيب هذا المسار الوسيط المادي والدلالي الذي يربط الجسد المدفون باسمه وموقعه وجماعته. ويتصل المسار الثاني بتفكيك الفضاء الجنائزي؛ أي اضطراب البنية المكانية التي تنظم علاقة القبور بعضها ببعض وعلاقة القبر بمحيطه القريب. ويظهر ذلك في الركام وانهيار الحدود، وتضرر المسارات، واختلاط مواد البناء وتبعثر العلامات أو إعادة توزيعها بما يربك صلتها بمواقع القبور. ويؤثر هذا التفكيك في قابلية المكان للقراءة والحركة والرعاية وفي انتظام الجوار بين القبور. أما المسار الثالث، فيتصل بما يصيب الجسد المدفون وحرمة موضعه، من تضرر البنية التي تحميه إلى انكشافه أو انكشاف الرفات. وتختلف حدود الاستدلال، بحسب ما تثبته المعاينة والصورة والشهادة في كل حالة. وتقرأ هذه المسارات، عبر خمسة أبعاد تحليلية متداخلة، يعرضها الجدول.

مسارات العنف والأبعاد التحليلية

مسار العنف	البعد المادي	البعد الرمزي	البعد العلائقي	البعد المعيش	البعد الزمني
محو العلامات	تكسر الشواهد والبلاطات والصور	تضرر العلامات التي تثبت الاسم أو الرمز أو صفة الشهيد	ضعف الصلة بين الجسد والقبر والجماعة	إضعاف قابلية الاستدلال إلى القبر عند الزيارة	انتقال العلامة من الثبات إلى الركام أو الاستبدال
تفكيك الفضاء الجنائزي	ركام، وانهيار، وتضرر المسارات والحدود	اختلاط رموز المكان وفقدان انتظامها	اضطراب الجوار وترتيب القبور وعلاقات القرب	اضطراب مسارات الحركة والوصول والرعاية	انتقال الفضاء من الانتظام إلى الركام ثم إلى إعادة التنظيم
المساس بالجسد المدفون وحرمة موضعه	تضرر بنية القبر أو انفتاحها، وانكشاف الجسد أو الرفات	المساس بحرمة الميت وموضع دفنه	زعزعة صلة الجسد بمكان إقامته بعد الدفن	تقييد إمكان الاقترب والرعاية المباشرة	استمرار الاضطراب، أو إعادة التثبيت، أو تعليق عملية التثبيت عند تعدّد الوصول

المصدر: من إعداد الباحثة.

تشكّل هذه الشبكة أداة قراءة للحالتين المدروستين؛ فالبعد المادي يتّصل بالقبر وعناصره والركام، والرمزي بالنقوش والصور والإشارات الدينية والسياسية، والعلائقي بعلاقة الجسد بموضعه والقبر بجواره والمقبرة بجماعتها، والمعيش بالزيارة وقراءة القرآن والأدعية ومجالس العزاء والعناية بالقبر، والزمني بدورات التدمير والترميم وإمكان الاستهداف المتكرر. وتعمل هذه الأبعاد بصفتها عدسات متقاطعة، يُستعان بها لتتبع المسار الواحد، بحسب طبيعة الحالة والمادة المتاحة.

ثانيًا: تشكّل الفضاء الجنائزي في الجنوب اللبناني والضاحية الجنوبية

يتشكّل الفضاء الجنائزي من الممارسات التي تتجه وتجعله فضاءً معيشًا، وقد ميّز هنري لوفيفر بين ثلاثة أبعاد مترابطة ومتداخلة في إنتاج الفضاء: الممارسة المكانية أو الفضاء المُدرَك، وتمثّلات الفضاء أو الفضاء المتصور - المتمثّل والفضاء المعيش L'espace vécu الذي تتجه الجماعة من الداخل عبر استخدامها اليومي وما تضيفه على المكان من معانٍ ورموز وذاكرة⁽³²⁾. ويعمّق ميشال دو سارتو هذا المستوى الأخير حين يُظهر كيف تمنح الممارسات اليومية (المشي، والتنقّل، والاستخدام المتكرر) معنىً خاصًا للفضاء يتشكّل من الداخل لا من فوق⁽³³⁾. وينتج الفضاء الجنائزي المحلي من هذا المستوى المعيش تحديدًا، حيث تشكّل الجماعة الشيعية⁽³⁴⁾، في الحالتين المدروستين، فضاءهما الجنائزي من خلال روابط القرابة والانتماء الديني والتجاور المكاني، وعبر الدفن والزيارة والتسمية والعناية؛ فتتحوّل المقبرة إلى امتداد مادي للعلاقات التي تنظّم حضور الموتى داخلها.

1. عيناثا: البلدة والروضة وتشكّل فضاء جنائزي للشهداء

تقع عيناثا في قضاء بنت جبيل ضمن المجال التاريخي لجبل عامل، وقد عاشت منذ سبعينيات القرن العشرين تحت أثر متواصل للاحتلال والعنف الإسرائيلي وما رافقهما من نزوح وفقد ومقاومة وعودة، وأصبحت هذه الخبرات جزءًا من التاريخ المحلي الذي تشكّلت داخله علاقة البلدة بأرضها

(32) Henri Lefebvre, *The Production of Space*, Donald Nicholson-Smith (trans.) (Oxford: Blackwell Publishers, 1991), pp. 38-40.

(33) Michel de Certeau, *The Practice of Everyday Life*, Steven Rendall (trans.) (Berkeley: University of California Press, 1984), pp. 97-99.

(34) أستخدم مصطلح "الجماعة الشيعية" بمعناه الأثروبولوجي الوظيفي؛ أي الجماعة التي تنتج فضاءاتها وممارساتها ومعانيها من الداخل، لا بمعناه الطائفي التصنيفي. ويحيل الاستخدام هنا تحديدًا إلى الجماعة الشيعية في الجنوب اللبناني (ممثلة ببلدة عيناثا)، وفي الضاحية الجنوبية لبيروت (برج البراجنة)، بما يحدّد السياق الاجتماعي والمكاني للحالتين المدروستين من دون ادّعاء تمثيل الجماعة الشيعية في لبنان ككل. ويمكن الاستئناس هنا باستعمال جان-ميشيل لاندري لمفردة البيئة في السياق الشيعي اللبناني للإشارة إلى المحيط الاجتماعي والأخلاقي الذي تشكّل داخله العلاقات والممارسات والقيم اليومية.

Jean-Michel Landry, "Community Fashioning: Political Ethics and Shi'i Clerical Training in Lebanon," *American Ethnologist*, vol. 50, no. 2 (2023), pp. 170-180.

ينظر أيضًا:

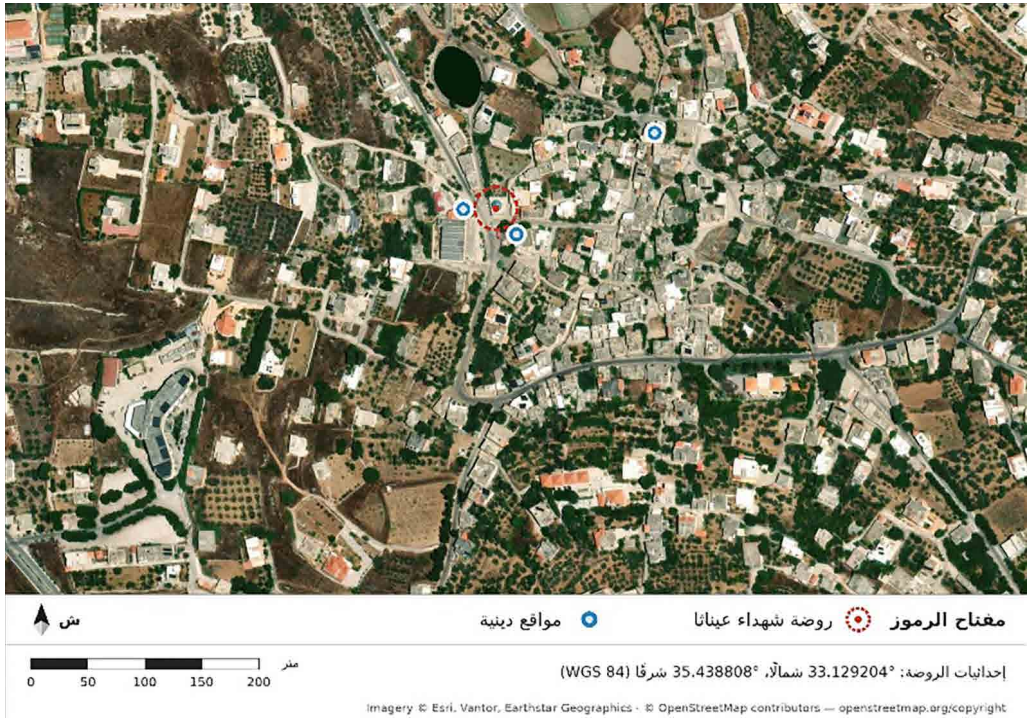
Sami Hermez, "Resistant Ecologies and the Bi'a beyond Methodological Nationalism," *American Ethnologist*, vol. 50, no. 2 (2023), pp. 198-199.

وموتاهما. وبعد الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان عام 2000، بدأ تشكّل روضة شهداء عيناثا حينما ضم موضعها الأول شهيدين من أبناء البلدة، ثم اتسعت مع تعاقب شهدائها، ولا سيما بعد حرب تموز/ يوليو 2006⁽³⁵⁾.

يروى مؤسس الروضة أنّ شهيدين من أبناء البلدة دفنّا خارجها بصفة ودائع، أحدهما في بيروت والآخر في بلدة دير قانون النهر، وبعد التحرير في 25 أيار/ مايو 2000، اختار قطعة أرض بين الحسينية والجامع (الصورة 1)، ونُقل إليها الشهداء في أيلول/ سبتمبر من العام نفسه. ضمت الروضة في طورها الأول شهيدين وضريحاً رمزياً لشهيد دفن جثمانه في بيروت "دفناً رسمياً"، ثم أضيف إليها عام 2004 جثمان شهيد ثالث⁽³⁶⁾.

الصورة (1)

موقع روضة شهداء عيناثا في النسيج العمراني لبلدة عيناثا، قضاء بنت جبيل



المصدر: من إعداد الباحثة اعتماداً على صورة خريطة فضائية التقطت يوم 11 تموز/ يوليو 2024، باستخدام النسخة المؤرشفة بتاريخ 5 آب/ أغسطس 2026، في:

"World Imagery (Wayback 2026-08-05)," *Esri*, accessed on 5/10/2026, at: <https://acr.ps/hBxVKk8>

تكشف هذه النشأة أن ممارسة دفن الوديع في عيناثا تسبق حرب عام 2024 بنحو ثلاثة عقود، وأن نقل الموتى من موضع دفنهم الأول إلى موضع مقصود يجري أيضاً بفاعل محلي، ويضيف الضريح

(35) يستند التسلسل التاريخي المتعلق بروضة شهداء عيناثا إلى: روضة عيناثا، شوهد في 2026/4/3، في: <https://acr.ps/hBxVKHu>؛ علي الصغير، "العمل مستمر لإنهاء روضة شهداء عيناثا"، السفير، 2008/7/3، شوهد في 2026/9/5، في: <https://acr.ps/hBxVKDL>

(36) شهادة مؤسس روضة شهداء عيناثا، نقلاً عن: ريان بسّام، الفيلم الوثائقي "بين الركن والمقام"، الدقائق 03:00-04:45.

الرمزي وجهاً ثالثاً: علامة جنائزية تؤدي وظيفتها التعريفية ويفصلها عن الجسد التصميم لا العنف. وقد تعرضت الروضة يوم 27 تشرين الأول/ أكتوبر 2024 للتدمير خلال العمليات العسكرية الإسرائيلية في عيناثا⁽³⁷⁾، وأعيد بناؤها في شباط/ فبراير 2025، بعد رفع الركام، وألحقت بها قطعة جديدة لاستقبال شهداء الحرب. وفي الشهر نفسه، نُقلت إليها جثامين عددٍ من الشهداء الذين دُفِنوا بصفة ودائع في مقابر بلدات أخرى؛ كان بعضها قد نُقل مؤقتاً إلى جبانة عيناثا، في حين نُقل البقية مباشرةً من تلك المقابر إلى الروضة. واستقرت الروضة على هيئتها الجديدة في آب/ أغسطس من العام نفسه، وكانت تضم 84 شهيداً وفق التوثيق المحلي. ثم تعرضت الروضة للاستهداف مجدداً في نيسان/ أبريل 2026، في سياق التصعيد الإسرائيلي وتجدد عمليات التدمير في عيناثا، كما تُظهر الصورة الفضائية المؤرخة في 27 نيسان/ أبريل 2026، حجم الأضرار في موقعها ومحيطها (الصورة 2).

الصورة (2)

صورة فضائية لروضة شهداء عيناثا ومحيطها بعد التدمير الثاني



المصدر:

"Satellite Imagery Report #1," *OnGeo Intelligence*, 27/4/2026, p. 2, accessed on 5/10/2026, at: <https://acr.ps/hBxVKgp>

(37) يستند هذا التاريخ إلى شهادتين محليتين مستقلتين: عضو في مجلس بلدية عيناثا، وإحدى بنات شهداء البلدة. وكانت المفكرة القانونية قد أوردت يوم 28 تشرين الأول/ أكتوبر 2024، نقلاً عن تصريح تلفزيوني، خبر تدمير الجيش الإسرائيلي مقبرة في عيناثا، ووصفتها بأنها المقبرة الجديدة المستحدثة بعد حرب تموز/ يوليو 2006، ويرجح أن يوم 28 هو تاريخ ورود الخبر. "إخبار عن جرائم حرب رقم 12: تدمير المقابر في جنوب لبنان"، *المفكرة القانونية*، 2024/11/8، شوهد في 2026/9/5، في: <https://acr.ps/hBxVK3v>. تجدر الإشارة إلى أن في البلدة أربع مقابر، منها ثلاث للدفن العام وواحدة هي روضة الشهداء، ويحتمل أن يكون الوصف الوارد في التوثيق منصرفاً إلى غيرها.

يمنح وجود مقابر أخرى لعموم الموتى في البلدة تخصيصَ روضة الشهداء دلالةً مكانيةً واضحةً، حيث تنظم القبور فيها ضمن صفوف أكثر تجانسًا وانتظامًا، وتتواتر صور الشهداء⁽³⁸⁾ والرموز والعلامات المرتبطة بالشهادة. ويُبقى ذلك الشهيد داخل قرابته الدموية - الرّحمية وعلاقته ببيته وبلدته، ويدخل في الوقت نفسه في قرابة رمزية - أيديولوجية أوسع تنتجها صفة الشهادة والتنظيم الجماعي للفضاء الجنائزي.

ولمقبرة البلدة العامة هذه، المعروفة محليًا بالجبّانة، تاريخها الخاص السابق للروضة، فيذكر سمحات أنها "جُرّفت جزئيًا عام 1982 في أثناء أعمال بناء النادي الحسيني في البلدة"⁽³⁹⁾، وأنّ شاهد أحد القبور القديمة انتزع حينها ونُقل إلى منزل خاص، وهو شاهد يعود إلى القرن الثامن عشر، حُفرت عليه أبيات رثاء نظمها الشيخ ناصيف النصار. وتكشف هذه الواقعة صيغة أخرى للانفصال عن الموضوع ناتجة من أعمال بناء وإعادة تنظيم محلية، وتُظهر أنّ الشاهد بعد انفصاله عن القبر قد ينتقل إلى حيّز آخر، يحفظ دلالاته ويستقر فيه بعيدًا عن الموضوع الذي كان يعرف به. ويتحدّد استخدام مفهوم تهجير الموتى بعد الدفن هنا بأثر العنف في الروابط التي تصل الجسد بموضعه وعلامته وإمكان العودة إليه، وقد يلحق هذا الأثر قبرًا بعينه أو يتّسع إلى المقبرة ومحيطها.

2. برج البراجنة والرادوف: تراكم الدفن داخل فضاء مديني متحوّل

يجمع موقعي الدراسة تاريخٌ واحدٌ من الحركة السكانية؛ فقد بدأ انتقال أبناء عيناثا إلى العاصمة منذ الخمسينيات بدافع التحولات الاقتصادية وضيق فرص العيش، وبفعل إقبال الحدود مع فلسطين التي كانت موردًا مهمًا لأبناء البلدة. فاستقرّ معظم أهل عيناثا في الضاحية الشرقية لبيروت، ثم تعاقبت العودة والنزوح بين البلدة وبيروت خلال الحرب الأهلية (1975-1990) وتدهور الأوضاع الأمنية في الجنوب، ليستقرّ قسم منهم لاحقًا في الضاحية الجنوبية، بما في ذلك برج البراجنة⁽⁴⁰⁾.

(38) يندرج هذا الحضور البصري ضمن ممارسة أوسع من التنظيم المؤسسي والمحلي لصورة الشهيد وثقتها كندة شعيب في جنوب لبنان. ويبيّن أنّ إعادة توزيع صور الشهداء اتجهت، ما بعد صيف 2003، نحو ربطها بصورة أكبر بقرى الشهداء الأصلية ومواقع عملياتهم العسكرية، بما يعزز الصلة بين صورة الشهيد والمكان الذي ينتمي إليه.

Kinda Chaib, "Le Hezbollah libanais à travers ses images: La représentation du martyr," in: Sabrina Mervin (dir.), *Les mondes chiites et l'Iran* (Paris: Karthala, 2007), pp. 126-127.

ويضيف بشير سعادة بعدًا زمنيًا إلى هذا السياق من خلال إظهاره الكيفية التي تُعاد بها الشهادة إلى الحاضر عبر دورات التذكر وجمع آثار الشهداء وكتاباتهم ومقتنياتهم وشهادات ذويهم.

Bashir Saade, "Martyrology and Conceptions of Time in Hizbullah's Writing Practices," *International Journal of Middle East Studies*, vol. 47, no. 4 (2015), pp. 728, 738-739.

(39) سمحات، ص 32.

(40) المرجع نفسه، ص 186، 190-192.

ويضع هذا المسار حاليّ الدراسة داخل حركة سكانية واحدة أنتجت، في كل موضع، تنظيمًا مختلفًا لإقامة الموتى. وتساعد دراسة أماندا رزق الله للتحويلات السكانية في ضواحي بيروت بعد الحرب على قراءة برج البراجنة ضمن تداخل السكان السابقين على الحرب مع النازحين والوافدين الذين استقروا فيها خلالها، ومارافق ذلك من اختلاف في الشبكات الاجتماعية والسياسية⁽⁴¹⁾. وتدعم إثنوغرافيا لارا ديب للضاحية الجنوبية هذه القراءة؛ إذ تشدد على تعدد المجال من حيث الطبقة ومدة الإقامة والانتماءات السياسية وبعض أشكال التنوع الديني، بما يمنع التعامل مع الضاحية أو سكانها الشيعة بوصفهم كتلة متجانسة⁽⁴²⁾. ومن داخل هذا النسيج المدني المتحول، تشكلت مقبرة الرادوف واتسعت.

تستمد الرادوف اسمها من مقام ديني داخل المقبرة، تحمل البلاطة المثبتة على واجهته اسم "مقام إمامي وسيدي محمد الرديف"، وتُعرف محليًا باسم "الرادوف"؛ وهي تسمية تمتد في التداول المحلي إلى المقبرة نفسها والمنطقة التي تقع فيها، والتي تظهر في توثيق محلي أقدم⁽⁴³⁾. وتحمل نشأة الجبانة طابعًا تراكميًا؛ إذ بدأت بأرض وهبها أحد أبناء عائلة فرحات، ثم اتسعت على مراحل بالتبرعات وشراء أراضٍ إضافية بوساطة الوقف وأبناء البلدة⁽⁴⁴⁾. وتظهر هذه التراكمية ماديًا في المقبرة: شواهد حجرية قديمة إلى جانب قبور من الباطون والرخام والجرانيت، واختلاف في الارتفاع والمواد، وممرات ضيقة ومتعرجة، وقبور تضم أكثر من جسد ضمن وحدة ترتبط غالبًا بالقرابة الدموية - الرحمية.

ويكشف تنظيم الدفن في الرادوف صيغة مكانية خاصة لهذه القرابة؛ فلا توجد في المقبرة قطع مخصصة لعائلات بعينها، إنما تعمل الأولوية العائلية عموديًا، فيبنى القبر طبقات بعضها فوق بعض، وتصل بعض القبور إلى أربع طبقات. وبحسب القائمين على المقبرة، تراعى قيود شرعية، منها امتناع دفن رجل فوق امرأة، وحرمة نبش القبر⁽⁴⁵⁾. بذلك، تنتظم القرابة في الرادوف في عمق القبر كما في جواره، في حين ينتظم الدفن في روضة شهداء عيّنًا أفقيًا بحسب تاريخ الاستشهاد مع أولوية لتجاوز شهداء العائلة الواحدة عند الإمكان، وهذا اختلاف في هندسة القرابة داخل الفضاء الجنائزي لا في درجات حضورها.

(41) Amanda Rizkallah, "Foreign Intervention and Internal Displacement: Urban Politics in Postwar Beirut," *International Security*, vol. 48, no. 3 (Winter 2024), pp. 108–111.

(42) Lara Deeb, *An Enchanted Modern: Gender and Public Piety in Shi'i Lebanon* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006), pp. 45–47.

(43) نجيب البعيني، "برج البراجنة وجاراتها"، السفير، العدد 7023، 1995/3/1، شوهد في 2026/9/23، في: <https://acr.ps/hBxVJZM>

(44) كانت قطعة ثالثة قيد الشراء والتجهيز عند إجراء المقابلة. المهندس المشرف على ترميم القسم الشرقي من المقبرة عضو لجنة الوقف الجعفري، بمشاركة أحد القائمين معه على أعمال المسح والترميم، مقابلة شخصية خلال جولة ميدانية في مقبرة الرادوف، برج البراجنة، 2026/9/14.

(45) المرجع نفسه.

إضافة إلى ذلك، تضمّ الرادوف قبورًا للشهداء، ينتظم بعضها في موضع يعرف محليًا بخيمة الشهداء، في حين يتداخل بعضها الآخر مع سائر القبور⁽⁴⁶⁾. ويمثل المقام علامة مكانية داخل هذا التراكم. ويجعل هذا التنظيم معرفة موقع القبر مرتبطة أحيانًا بالاسم أو العائلة، وأحيانًا أخرى بجوار قبر آخر أو شجرة أو مسار أو بقربه من المقام. وتتصل المقبرة بالنسيج المدني المحيط بها من خلال مداخل ومسارات تتخلّل الأزقة والنسيج المبني ويعتمد الوصول إلى بعضها على معرفة محلية بمسارات الحي، وتشكّل قابلية الاستدلال داخل الرادوف من تراكم هذه المعرفة الموضعية بالمقبرة ومحيطها.

تكشف الحالتان أن الفضاء الجنائزي يتشكّل من تراكم مواضع الدفن، والقرابة، والعلامات، ومسارات الزيارة والمعرفة المحلية بالمكان. وقد أخذ هذا التشكّل صورة مختلفة في كل موقع، تبعًا لتاريخه الاجتماعي والعمراني وأنماط الدفن فيه. ومن هذه البنية السابقة للعنف، ينطلق القسم التالي لتتبع ما أحدثته التدمير في قابلية التعرف إلى القبور والوصول إليها، ثم في محاولات إعادة تثبيت المواضيع والعلاقات التي تنظم حضور الموتى داخل الفضاء الجنائزي.

ثالثًا: مسارات العنف وإعادة التثبيت في عيناثا والرادوف

بعد عرض نشأة الموقعين وأنماط تنظيم الدفن فيهما، يتتبع هذا القسم تفاوت آثار التدمير في القبور وعلاماتها وإمكان الوصول إليها، ومسارات إعادة تثبيت إقامة الموتى. وتبحث المقارنة في أثر البنية السابقة لكل مقبرة في نطاق الضرر وإمكانات الترميم واستمرار العلاقة بالموتى.

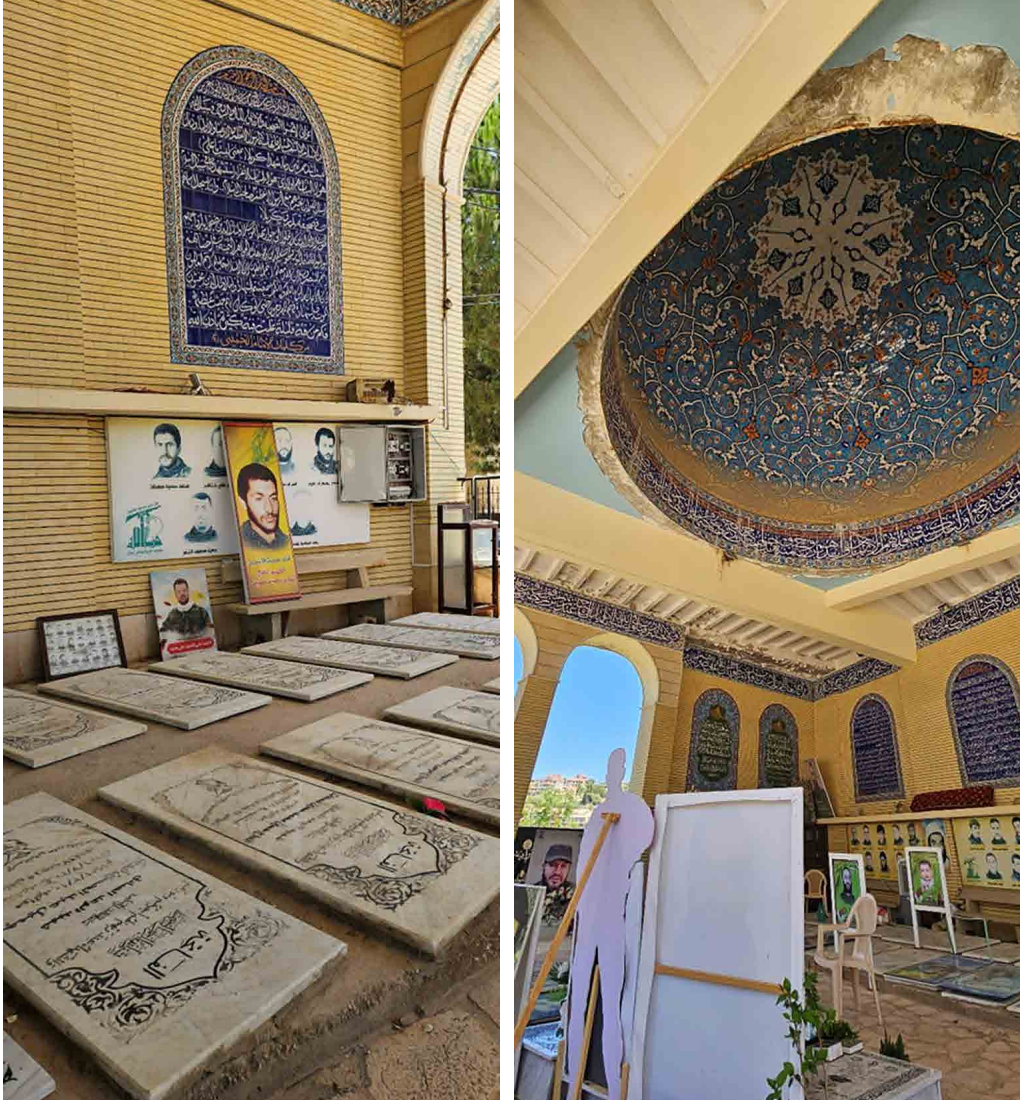
1. بنية المقبرة ونطاق التدمير

قبل التدمير الأوّل لروضة شهداء عيناثا، يوم 27 تشرين الأول/أكتوبر 2024، نُظِّمَت إقامة الشهداء داخل بنية معمارية وبصرية واضحة، توزعت القبور في صفوف متقاربة، وحملت البلاطات الرخامية أسماء الشهداء وتواريخهم ومواضع استشهادهم، وأحاطت بها قبة وأقواس وجدران تحمل الصور والكتابات والعناصر الدينية (مثل الآيات القرآنية) والحزبية (مثل شعار حزب الله). وقد جمع هذا التنظيم بين فردية الشهيد، التي يحددها الاسم والصورة والقبر، وجماعية الروضة التي تضم الموتى داخل فضاء جنائزي واحد للشهداء. وتضمّ البنية المعمارية لروضة شهداء عيناثا القبة والعناصر الجدارية الحاملة للنقوش والآيات، إلى جانب حضور الصور الملونة المتعددة الأحجام للشهداء، داخل فضاء مسقوف، يدمج بين القبر والعناصر البصرية ضمن حيّز معماري واحد (الصورة 3).

(46) يضمّ القسم الغربي من المقبرة موضعًا يُعرف محليًا بخيمة الشهداء. وتعود نشأته إلى مرحلة تعدّز فيها نقل شهداء إلى بلداتهم، فدُفِنوا في المقبرة بصفة ودائع، ثم استقرّ الموضع وصار دفنًا ثابتًا. وتُظهر هذه الواقعة أنّ دفن الوديعه ليس ممارسة خاصة بحرب 2024 ولا بعيناثا وحدها، وأنّ الموضع المؤقت قد يتحوّل نهائيًا حين تطول المدّة وتتغيّر الشروط. المرجع نفسه.

الصورة (3)

البنية المعمارية لروضة شهداء عيناثا قبل التدمير



المصدر: من تصوير الباحثة، 2024/6/25.

أدخل التدمير الأول هذه البنية في طور من التفكك، فتكسر جزء من الشواهد والبلاطات، وتبعثرت عناصر كانت مرتبطة بقبور محددة، وتضررت البنية المعمارية التي كانت تجمع القبور، وتداخلت الركام مع المواضع والعلامات. وأدى انفصال البلاطة أو الصورة أو الشاهد عن القبر إلى اضطراب الصلة بين الاسم والجسد والموضع، في حين أصبح انتظام الصفوف وحدود القبور أقل قابلية للقراءة داخل الركام (الصورة 4). ويتسع قياس الضرر في عيناثا إلى علاقة الروضة بمحيطها العمراني، فتظهر الزعزعة في موضع القبر داخل الروضة وفي تموضع الروضة داخل البلدة (الصورة 2).

الصورة (4)

شظايا من بلاطات وشواهد القبور في الروضة بعد التدمير الأول عام 2024



المصدر: أرشيف ريان بسام، 2025/1/26.

وفي الرادوف، تركّز الضرر الأوضح في القسم الشرقي، نتيجة استهداف الجيش الاسرائيلي مبنى ملاصقًا وسقوط الركام والحجارة داخل المقبرة، وألحقت بعض الأضرار بقبور في القسم الغربي بسبب تطاير بعض الأحجار وارتطامها بها⁽⁴⁷⁾. وقد عاينتُ قبورًا تكسّرت عناصرها الخارجية، وبلاطات شواهد انفصلت عن مواضعها، إلى جانب تضرر الأرض والمسارات، ولم أعين أجساداً أو رفاتاً مكشوفة، لذلك يقتصر الاستدلال على ما تثبته البنية الخارجية للقبور والمادة المتاحة (الصورة 5).

الصورة (5)

الأضرار التي لحقت القسم الشرقي من مقبرة الرادوف



المصدر: من تصوير الباحثة، 2025/3/15.

ويكتسب الضرر دلالاته من مساهمه بالعلاقات المكانية التي نشأت مع تراكم القبور وتداخلها؛ إذ يقوم التعرف إلى القبر على تضافر الاسم واسم العائلة والشاهد والجوار والعلامات النباتية أو القرب من المقام. لذلك، قد يؤدي انفصال أيٍّ من هذه العناصر عن موضعه إلى إرباك شبكة العلاقات التي

(47) المهندس المشرف على ترميم القسم الشرقي من المقبرة عضو لجنة الوقف الجعفري.

تجعل القبر قابلاً للتعرف. وفي حين ظلّت أجزاء من المقبرة قائمة واستمرت فيها بعض وظائف الدفن والزيارة، دخلت أقسام أخرى في مسارات من التفكك والترميم.

2. مسارات تهجير الموتى بعد الدفن

أ. محو العلامات

يظهر المسار الأول في محو العلامات أو فصلها عن مواضعها. فقد أدّى التدمير في عيناثا إلى تكسر الشواهد والبلاطات، وتضرر العلامات التي كانت تربط الشهيد باسمه وقبره وصفته. وتكتسب العلامة هنا كثافة إضافية لأنها تدخل في نظام تعريفي يجمع الاسم والصورة وتاريخ الاستشهاد والرمز الديني والحزبي داخل فضاء جماعي واحد، وحين تتحول هذه العناصر إلى شظايا يتزعزع النظام الذي كان يجعل كل شهيد قابلاً للتعرف داخل الروضة.

وفي الرادوف، قد تنفصل البلاطة أو الشاهد أو المزهريّة عن القبر، وتختلط بعناصر قبور أخرى أو بمواد البناء. وبسبب تراكم المقبرة وتنوّع ترتيب قبورها وانتظامها، يصبح موضع العلامة جزءاً من معناها، فيفقد الاسم المكتوب على قطعة رخام قدرته على تحديد القبر حين تنفصل عنه. وهنا تظهر إحدى صور التهجير في المكان المتمثل في اضطراب الوسائط التي تجعل موضع الجسد المدفون معروفاً وقابلاً للعودة.

ب. تفكيك الفضاء الجنائزي

أدّى انهيار البنية المحيطة بالقبور وتراكم الركام في روضة شهداء عيناثا إلى تشويش الصفوف وحدود المواضع والمسارات الداخلية، وتحولت الروضة من فضاء تقرأه العين عبر القبة والجدران والصفوف المتكررة إلى فضاء يحتاج إلى إعادة تحديد وترتيب وتعريف. وتلتقط خبرة الزائر هذا التحول بصورة أوضح، كما روت إحدى بنات الشهداء المدفونين في الروضة. فحينما وصلت إلى البلدة والروضة ليلة "وقف إطلاق النار"، لم تستطع تمييز القبور وتحديد مواضعها بسبب اختفاء المعالم: "ما كنّا نقدر نميّز الأضرحة ولا وين موجودين حتى"⁽⁴⁸⁾. فقد تحول فقدان العلامات، في هذه الخبرة، إلى تعطل المعرفة المكانية التي كانت تتيح الوصول إلى قبر بعينه.

وفي الرادوف، يعمل التفكيك من خلال الأرض والمسارات والجوار بين القبور؛ فالممرات الضيقة والمتعرجة جزء من النظام المحلي للاستدلال والحركة، وتضررها أو تغييرها يؤثر في وصول الزائر إلى القبر. إلى جانب ذلك، يخلّ اختلاط عناصر القبور بالشبكة التي تربط كل قبر بما حوله. ويتّضح ذلك في مرحلة الترميم، حينما جمعت البلاطات والمزهريات وبعض الشواهد قرب الجدار، مع أرقام وعلامات تساعد على فرزها وإعادة ربطها بمواضعها (الصورة 6).

(48) ابنة شهيد من عيناثا.

الصورة (6)

جمع عناصر القبور وتكديسها خلال ترميم القسم المتضرر من مقبرة الرادوف



المصدر: من تصوير الباحثة، 2026/4/19.

ج. الجسد المدفون وحرمة الموضع

يتعلّق المسار الثالث بالجسد المدفون في موضعه، وبما يصيب البنية التي تحيط به وتحدّد مكانه. فقد أفاد عضو مجلس بلدية عيناثا بظهور رفات في حالات محددة في أثناء رفع الركام، وروى انكشاف جثمان أحد الشهداء، فغطّي مباشرة ثم أعيد تشييعه ضمن "التشييع الكبير" يوم 22 شباط/ فبراير 2025⁽⁴⁹⁾. وتفتح إعادة التشييع بعداً رمزياً يتّصل بما يصيب حرمة الميت بعد استقرار دفنه؛ فالجثمان الذي سبق أن شُيّع ودُفّن يدخل مجدداً في طقس جماعي يؤكد حرمة وصفة صاحبه شهيداً. ويمكن قراءة هذا التجدد الطقسي كما لو أن انتهاك الحرمة شكّل استشهاداً

(49) عضو في مجلس بلدية عيناثا، مقابلة مكتوبة عبر واتساب، 2026/9/8.

آخر على المستوى الرمزي، استدعى تجديد التشيع والاعتراف الجماعي بالشهيد. ومن هذه الزاوية، تأخذ إعادة التثبيت بُعداً جسدياً وطقسياً، يجمع بين ستر الجثمان وتجديد الصلة بين الجماعة وشهيدها بعد انكشاف جسده.

وفي الرادوف، عاينتُ في القسم الشرقي، يوم 15 آذار/ مارس 2025، عدة قبور تناثرت بلاطاتها حول فتحة داكنة، ولم يظهر في الفتحة في حدود المعاينة والتصوير جسد أو رفات. فيقتصر ما تسنده الملاحظة على انفتاح البنية الخارجية للقبر⁽⁵⁰⁾. ويؤيد هذه الملاحظة تأكيد المشرف المباشر على العمل في الموقع، عدم انكشاف أجساد أو رفات في المواضع التي تابع فيها العمل⁽⁵¹⁾. ويكتسب تضرر البنية الخارجية للقبر معناه في ضوء حرمة الميت التي تناولها القسم الأول؛ إذ يمس الغلاف المادي الذي يصون موضع الدفن ويجعل حدوده قابلة للتعرف والوصول إليه.

3. عيناها: من الدفن المؤقت إلى إعادة تثبيت الروضة

يربط إمام بلدة عيناثا بدء الدفن المؤقت بتوقف الدفن في الروضة مع اشتداد المعركة وتعذر الوصول إلى مواضع الاستشهاد، بعد دفن أول شهيدين بحضور عدد قليل من الأهالي. فبدأ دفن الشهداء بصفة ودائع خارج البلدة، في انتظار إمكان نقلهم إلى موضعهم المقصود⁽⁵²⁾. وتوضح هذه الممارسة الكيفية التي تفرض بها الحرب إقامة جنازية مؤقتة تظل العودة جزءاً من مسارها. وقد أقيمت في أول أيام وقف إطلاق النار صلاة جماعة على ركام الروضة، ووضع المصلون تحت جباههم قطع رخام من بقايا أضرحة الشهداء⁽⁵³⁾. وتكشف الواقعة أن إعادة وصل الجماعة بموتاتها بدأت قبل اكتمال البناء وباستخدام مادة الدمار نفسها؛ فقد اكتسبت شظايا الرخام وظيفة طقسية داخل الفضاء الذي أصابه التدمير.

ثم نُقلت، يوم 22 شباط/ فبراير 2025، جثامين شهداء كانوا قد دُفِنوا مؤقتاً وشيعهم جمع كبير من الناس من أهالي البلدة وخارجها ثم دفنهم في الروضة. وشمل "التشيع الكبير" إعادة تشيع الشهيد الذي انكشف جثمانه في أثناء رفع الركام، وبذلك التقى تثبيت جثامين الودائع في موضعها المقصود مع إعادة تثبيت روضة سبق أن أصاب العنف موتاتها المستقرة. ويظل التمييز بين المسارين ضرورياً، فالدفن المؤقت يسبق الاستقرار في الموضع النهائي، في حين تتعلق إعادة تثبيت الروضة بفضاء جنازي قائم أصابه التدمير. تُظهر الصورة (7) طوراً انتقالياً بين التدمير وإعادة التثبيت؛ إذ تؤدي الصور المؤقتة ورايات حزب الله والأكاليل وظيفة تعريفية بديلة ورمزية في إعادة وصل الشهداء بمواضعهم داخل الروضة.

(50) الملاحظة مؤقّعة بصرياً في أرشيف الباحثة، مقبرة الرادوف، 2025/3/15.

(51) المشرف المباشر على العمل في الموقع، مقابلة شخصية خلال جولة ميدانية في مقبرة الرادوف، برج البراجنة، 2026/9/14.

(52) شهادة إمام البلدة، نقلاً عن: بسام، الدقائق 15:40-15:51.

(53) المرجع نفسه، الدقائق 16:00-16:15.

الصورة (7) روضة شهداء عيناثا بعد تشييع الودائع ودفنهم



المصدر: أرشيف ريان بسام، 2025/2/22.

وتوثق جولة تلفزيونية أجريت، يوم 11 شباط/ فبراير 2025، جانباً من التحضير للعودة؛ إذ يصف المسؤول الإعلامي هادي خنافر⁽⁵⁴⁾ وضع العلامات المؤقتة ضمن تحضيرات التشييع، قائلاً: "بنحطّ مثل الشاهد لكل قبر، لنعرف معالم القبر تقريباً"، ويربط رئيس البلدية السيد رياض فضل الله ذلك بإتاحة زيارة الأهالي لقبور شهدائهم⁽⁵⁵⁾.

وتوضح شهادة عضو مجلس بلدية عيناثا أن استعادة مواضع القبور اعتمدت على الصور القديمة والخرائط ومعرفة العائلات، التي حضرت خلال العمل، وساعدت في تحديد المواقع⁽⁵⁶⁾. واستخدم بعض الأهالي الصور والحصص والنباتات علامات مؤقتة للإشارة إلى مواضع قبور أبنائهم إلى حين تثبيت الشواهد. وتولّت البلدية إعادة البناء بمشاركة أبناء البلدة ومساهمات من المغتربين تحت إشراف هندسي محلي. وتُظهر هذه الإجراءات إعادة التثبيت عملاً يجمع بين الوثيقة والمعرفة المحلية وإعادة تثبيت العلامة المادية للموضع. وتوضح الصورة (8) هذه المرحلة الوسيطة، حيث تظهر القبور في طور إعادة التنظيم، وتعمل الصور المؤقتة على وصل الأسماء بمواضع الدفن قبل اكتمال بناء الشواهد.

(54) الذي استشهد لاحقاً في آب/ أغسطس 2025 ودُفن في الروضة.

(55) جولة ميدانية في بلدة عيناثا، في: "الخط الساخن"، قناة المنار، 2025/2/11، شوهد في 2026/9/13، في: <https://acr.ps/hBxVKA2>. يُنسب ما يقوله المتحدثون إلى صفاتهم المحددة في المادة الإعلامية.

(56) عضو في مجلس بلدية عيناثا، مقابلة بالكتابة عبر واتساب، 2026/9/8.

الصورة (8)

مرحلة التعرف المؤقت في الروضة بعد تشييع الشهداء الودائع وقبل اكتمال إعادة الإعمار



المصدر: أرشيف ريان بسام، 2025/4/19.

تواصلت العملية عبر تسوية الأرض وتنظيم الصفوف وإعادة تثبيت الصور والشواهد والحدود، وصولاً إلى الهيئة التي ظهرت في آب/ أغسطس 2025، فانتقلت الروضة من بنية مسقوفة ذات قبة وجدران إلى فضاء مفتوح تنظمه الصفوف والشواهد وأحواض الزهور والحضور والرايات والصور. وأنتجت إعادة البناء صيغة معمارية جديدة للإقامة الجنائزية، تقوم على انتظام الصفوف، وتكرار العلامات؛ فتحولت الروضة بذلك إلى فضاء مفتوح ومنظم تؤطره الآيات القرآنية والرايات الحزبية، ويُعاد من خلاله تشكيل المقبرة بوصفها فضاءً جماعياً للشهداء (الصورة 9).

الصورة (9)

قسم من الروضة بهيئتها الجديدة بعد إعادة الإعمار



المصدر: أرشيف ريان بسام، 2025/8/23.

وأدى بقاء اسم الروضة قائماً على الرغم من تغيير عمارتها إلى استمرار التعرف إلى المكان بوصفه فضاءً للشهداء. وجمعت إعادة التثبيت بين تجديد البنية المادية واستمرار الاسم والصور والممارسات التي تصل الجماعة بموتاتها. وتُظهر الصورة المؤرخة في 27 نيسان/ أبريل 2026 (الصورة 2)، ضرراً جديداً واسعاً في موقع الروضة ومحيطها بسبب الاستهداف الإسرائيلي، لتتعدى المعاينة حتى لحظة كتابة الدراسة.

4. الرادوف: الفرز والترميم واستمرار المكان في العمل

تبدأ إعادة التثبيت في الرادوف من المادة المفككة نفسها، وقد أظهرت المعاينة الميدانية بلاطات وشواهد ومزهريات وقطعاً من عناصر القبور جُمعت إلى الجدار الشرقي للمقبرة، وترافقت مع أرقام وعلامات وأسماء كُتبت عليه. ويكشف هذا الترتيب انتقال المادة من التناثر إلى الفرز؛ وإعادة الشاهد أو البلاطة تستلزم تحديد القبر الذي تعود إليه، واستعادة العلاقة بين المادة والاسم والموضع (الصورة 6).

أظهرت الجولة الميدانية، يوم 14 أيلول/ سبتمبر 2026، أن إعادة ربط العناصر بمواضعها اعتمدت على أكثر من نوع من المعرفة. فقد جمع المشرفون على عملية الترميم البلاطات القديمة وعرضوها، بحيث يستطيع الأهالي التعرف إليها. وجرت عملية التعرف إلى القبور استناداً إلى شهادات أكثر من شخص، وصور وفيديوهات سابقة، وذاكرة العائلات بعلاقات الجوار بين القبور. وبدأ تنظيم المقبرة، بحسب التقسيمات الناتجة من المسح الجديد وربط الأسماء بقاعدة بيانات، مع التوجه إلى ترقيم الشواهد لتثبيت هذه العلاقة مستقبلاً⁽⁵⁷⁾، وكانت أعمال الترميم قد جرت بالتعاون بين بلدية برج البراجنة ولجنة الوقف الجعفري وجهات محلية أخرى، مع استمرار الدفن أثناء العمل⁽⁵⁸⁾.

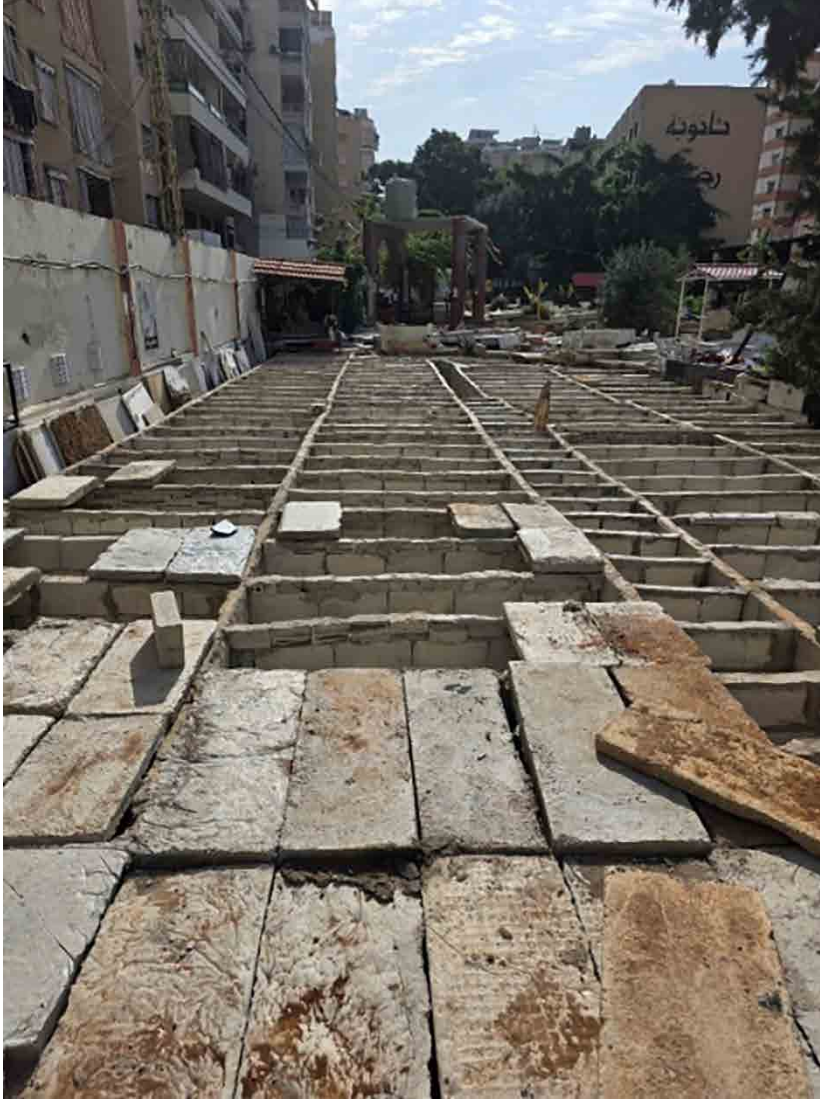
لم تشمل أعمال إعادة الترميم نبش الجثامين أو نقلها، وتركز العمل في البناء فوق مواضع الدفن والعناصر الخارجية للقبور والمسارات والتنظيم المكاني. واستفاد المنظّمون من هذه الأعمال لتسوية أيّ فرق في مستوى الأرض، واستطاعوا بذلك كسب أماكن جديدة للدفن. تُظهر الصورة التالية صفوفاً من البنى قيد الإنشاء فوق مواضع دفن قائمة، إلى جانب بلاطات جنائزية قديمة مسندة إلى الجدار. ووفقاً لفريق الترميم، ارتبطت هذه الأعمال بتسوية تفاوت منسوب الأرض وإعادة تنظيم المساحة لإتاحة مواضع إضافية للدفن (الصورة 10). ويتيح هذا التحديد قراءة الاضطراب وإعادة التثبيت في مستوى العلاقة بين القبر وعلامته ومحيطه، مع ضبط حدود الاستدلال بشأن الجسد المدفون.

(57) المهندس المشرف على ترميم القسم الشرقي من المقبرة.

(58) المرجع نفسه؛ "بلدية برج البراجنة تُنهي المرحلة الأولى من ترميم جبانة الرادوف والرمل"، جمعية العمل البلدي، 2026/1/9، شوهد في 2026/9/5، في: <https://acr.ps/hBxVKwj>

الصورة (10)

أعمال إعادة بناء القبور في القسم الشرقي من مقبرة الرادوف



المصدر: من تصوير أحد القائمين على أعمال المسح والترميم في مقبرة الرادوف، من دون تاريخ.

وفي 19 نيسان/ أبريل 2026، بدأ أن أعمال الترميم اتجهت أيضًا إلى تنظيم الحركة داخل المقبرة، من خلال رصف ممر داخلي وإعادة توزيع المساحة بين القبور. وبذلك لم يقتصر الإصلاح على القبور نفسها، بل شمل أيضًا المسارات التي تتيح الوصول إليها وتعيد تنظيم شروط الحركة والاستدلال والعناية داخل القسم المتضرر. تُظهر الصورة (11) أربعة صفوف من القبور موزعة بانتظام وتوازٍ، تتخللها أرضية مرصوفة بأحجار تُستخدم عادةً في الأرصفة، مع الإبقاء على جزءٍ من الغطاء النباتي السابق.

الصورة (11)

مشهد لمرحلة إعادة تنظيم القبور وترميمها وتوزيعها في مقبرة الرادوف



المصدر: من تصوير الباحثة، 2026/4/19.

ويبرز مقام الرادوف داخل القسم الغربي نقطة ثباتٍ نسبي داخل هذا المشهد؛ فقد بقي قائماً، واستمرت حوله ممارسات عاينتها مباشرة. وفي الوقت الذي كانت عناصر من القسم الشرقي للمقبرة تخضع للفرز والترميم، حافظ المقام على حضوره مرجعاً دينياً ومكانياً. ويظهر في الصورة (12) مدخل المقام المتمثل بالبوابة الحديدية الخضراء ذات القوس العلوي، وعلى يمينها بلاطة رخامية تعريفية نُقش عليها "مقام إمامي وسيدي محمد الرديف". وعلى يسار البوابة، صندوق معدني أخضر مخصص لإضاءة الشموع، تعلوه لوحة تعريفية موسّعة بصاحب المقام، وإلى جانبه شبّاك محاط بحماية حديدية تُربط عليه أقمشة خضراء وملونة في سياق ممارسات نذرية متكررة. وتتيح فتحة صغيرة ضمن الزجاج رؤية داخل المقام من دون الدخول إليه. تُظهر هذه العناصر مجتمعةً الحضور المستمر لممارسات الزيارة والنذر داخل الفضاء الجنائزي.

الصورة (12)

مقام الرادوف داخل المقبرة



المصدر: من تصوير الباحثة، 2026/4/19.

تكشف الحالتان أن إعادة التثبيت تبدأ باستعادة قابلية المكان للمعرفة والوظيفة: تحديد مواضع القبور وربط الأسماء بها، والمسارات التي تجعل الزيارة ممكنة. واتخذت هذه العملية في عيناثا شكل إعادة بناء جماعية لروضة تغيّرت عمارتها كلياً، وأُعيد تنظيم صفوفها وعلاماتها، في حين اشتغلت في الرادوف عبر الفرز والتحقق من المواضع وإعادة تنظيم القبور والمسارات داخل مقبرة استمرت في أداء وظائفها. وتبيّن الحالتان أيضاً هشاشة هذا التثبيت؛ فقد دخلت عيناثا دورة جديدة من الضرر وتعذّر الوصول بعد إعادة البناء، أما ترميم الرادوف فظلّ عملية متواصلة.

رابعاً: تهجير الموتى بعد الدفن بين المحو وإعادة التثبيت

يتوقّف استمرار الإقامة الجنائزية على الروابط التي تجعل الجسد المدفون معلوم الموضع، وتصل قبره بعلامته وجواره والجماعة التي تعود إليه. وتكشف المقارنة بين روضة شهداء عيناثا ومقبرة الرادوف أن العنف يمسّ هذه الروابط بدرجاتٍ وصيغٍ متفاوتة، بما يشمل الحالات التي يبقى الجسد فيها مدفوناً في مكانه. وتظهر الفائدة التحليلية لمفهوم تهجير الموتى بعد الدفن في وصل الضرر المادي بما يعطلّه من معرفة وممارسات وعلاقات استقرّت بعد الدفن، ثم في تتبّع الشروط التي تسمح بإعادة بنائها. وتحدّد المسارات الثلاثة الواردة في الجدول مواضع هذا الاضطراب. ففي محو العلامات، تتضرّر الصلة التي تجعل الاسم المكتوب دالاً على قبرٍ بعينه؛ وقد يبقى الاسم مقروءاً، ولكنّ تحديد موضع صاحبه يتعذّر. ويتّسع الاضطراب في تفكيك الفضاء الجنائزي إلى الجوار والمسارات والحدود التي تنظّم الاستدلال والحركة. أمّا مسار المساس بالجسد المدفون وحرمة موضعه، فيتعلّق بما يصيب البنية التي تصونه وحرمة موضعه، وصولاً إلى انكشافه في الحالات التي ورد وصفها في المقابلات.

يمنع التمييز بين هذه المسارات مساواة جميع الأضرار بانكشاف الأجساد، مع بيان ما يجمعها من مساس بشروط استمرار العلاقة بالميت. وتوضح الأبعاد الخمسة للجدول نفسه أنّ إعادة التثبيت تتقدّم على نحوٍ متفاوتٍ؛ فقد تُستعاد معرفة موضع القبر بالصور والشهادات قبل اكتمال بنائه، وتستأنف الجماعة ممارسة طقسية في موقع ما زال ركاماً، ثم يتعذّر الوصول إلى المقبرة بعد إعادة إعمارها. وتكشف هذه الأوضاع اختلافاً بين استعادة العلامة مادياً، وتثبيت دلالتها، وتجدد الممارسات حولها، واستمرار إمكان العودة إليها. وهنا تؤدي الشبكة التحليلية وظيفتها تفسيرية؛ فهي تساعد على تحديد الروابط التي أعيد وصلها، وتلك التي بقيت معلقة، وكيف يتغير ذلك عبر الزمن. ويتصل هذا التفاوت ببنية كل موقع ونطاق الضرر فيه؛ ففي عيناثا، دمّرت الروضة وأصاب الضرر محيطها العمراني، فاضطرب موقع القبر داخلها وتموضعها داخل البلدة، أمّا في الرادوف فارتبط الضرر الأوضح بسقوط ركام مبنى ملاصق استهدفه جيش الاحتلال الإسرائيلي، في حين استمرت أجزاء من المقبرة في أداء وظائفها وبقي المقام مرجعاً دينياً ومكانياً.

يتقاطع هذا التحليل مع تحليل نوا كريكلر لتدمير المقابر ضمن "قتل الموتى"، ولا سيما إبرازها دور المقبرة في الدلالة على الحضور التاريخي للجماعة، وفي وصل حاضرها بماضيها المشترك⁽⁵⁹⁾. وتتيح الأدبيات الفلسطينية المشار إليها في القسم الأول من الدراسة تتبع أشكال السيطرة الإسرائيلية على الجثمان وموضع دفنه وزمن تشييعه وشروط الوصول إليه. وقد اتجهت مساهمة هذه الدراسة إلى العلاقة التي تتكوّن بعد استقرار الدفن، وإلى كيفية تعطّلها واستمرارها وإعادة بنائها. ومن خلال هذا التحديد، يمكن تتبع أثر العنف في ممارسات يومية، كالتعرّف إلى القبر وزيارته والعناية به، وفي الأعمال الجماعية التي تستعيد إمكان هذه الممارسات.

وتوضح مقارنة نوا ليشم أن أعمال الإصلاح نفسها تحمل دلالة سياسية، حيث تكشف دراسته لمقبرة مأمّن الله في القدس عن ارتباط ترميم المقبرة بإظهار الحضور التاريخي للجماعة وبالمطالبة بالمكان، وتبيّن أن الشاهد قد يؤدي وظيفة جماعية تتصل بالدالتين الثقافية والدينية للمقبرة، إلى جانب وظيفته في تعيين قبر فردي⁽⁶⁰⁾. ويفيد هذا التمييز في قراءة الحالتين المدروستين؛ إذ إنّ إعادة ربط الاسم بموضعه تتيح للأهل العودة إلى ميّت محدّد، في حين تعيد أعمال الترميم إظهار المقبرة داخل البلدة أو الحي، وتكتسب هذه الوظيفة كثافة خاصة في عيائنا، حيث يدخل ترميم الروضة في استعادة معلم يجمع تاريخ الشهادة وتمثالاتها وممارسات الزيارة وعودة الجماعة إلى شهدائها.

تكشف شهادات المعنيين في عيائنا الكيفية التي يُفهم بها التدمير الإسرائيلي داخل هذه العلاقة، فيصف المهندس المشرف على اختيار هيكل الروضة القديمة، في فيلم "بين الركن والمقام"، إسرائيل بأنها "عدو حتى للأشياء الرمزية"، رابطاً التدمير بمعنى البناء وبالشهداء المدفونين تحته. وفي حلقة قناة المنار، تفسّر إحدى أمهات الشهداء تدمير الأضرحة بقولها: "دمّروه لأن هن مهجورين من"⁽⁶¹⁾. تنسب هذه الأقوال إلى العدو عداءً يستمر تجاه الشهداء وما يمثلونه بعد موتهم، وهي تكشف تفسير أصحابها للفعل الإسرائيلي من مواقعهم وعلاقتهم بالموتى؛ فتدخل الروضة المدمّرة في خطاب عن استمرار المواجهة، ويكتسب الحفاظ عليها معنى الوفاء للشهداء ومواصلة حضورهم في البلدة؛ إذ يربط مؤسس الروضة هذا الحضور بالعودة إلى الأرض حين يقول: "وإذا ما رجعنا على بلادنا بنكون نحن عم نقتل شهداءنا من جديد"⁽⁶²⁾.

تُستخدَم صورة قتل الشهداء من جديد للتعبير عن مسؤولية الأحياء تجاههم، فالشهداء، في هذا الخطاب، قدّموا حياتهم دفاعاً عن أهلهم وأرضهم، وارتبطت تضحياتهم ببقاء الآخرين على قيد الحياة وإمكان استمرارهم في أرضهم. ومن هنا، يصبح الرجوع إلى البلدة فعل وفاء لهذه التضحية، ومواصلة

(59) Noa Krikler, "Killing the Dead: The Logic of Cemetery Destruction during Genocidal Campaigns," *Nations and Nationalism*, vol. 29, no. 4 (2023), pp. 1339–1342.

(60) Noam Leshem, "Over Our Dead Bodies: Placing Necropolitical Activism," *Political Geography*, vol. 45 (2015), pp. 39–40.

(61) شهادة المهندس المشرف على اختيار هيكل الروضة القديمة، نقلاً عن: بسّام، الدقائق 09:30 – 09:40؛ شهادة أم شهيد في: "الخط الساخن"، الدقيقة 12:17.

(62) شهادة مؤسس الروضة، نقلاً عن: بسّام، الدقائق 06:26–06:33.

للحياة في المكان الذي دافعوا عنه. ويتصل هذا المعنى بالاعتقاد الديني أن الشهداء أنفسهم أحياء، والذي يعبر عنه المتحدث بقوله: "موجودين بيناتنا أحياء"، فتأخذ العودة معنى تجديد الصلة بهم واستمرار الجماعة إلى جوارهم. وعلى هذا المستوى، يمسّ منع العودة إمكان ممارسة هذا الوفاء في المكان الذي يرتبط به، ويشمل علاقة أخلاقية وسياسية تتجدّد عبر الحضور والزيارة والعناية. وتتضح أيضًا إعادة صياغة المعنى السياسي في تنظيم التشييع الجماعي حين يشرح إمام البلدة أن القرار كان دفن الشهداء: "في يوم واحد، في مشهد واحد، في عرس واحد"، ويصفه بأنه "مشهد الانتصار". ويوضح كذلك أن حمل نعوش على الأكتاف في الجزء الأخير من المسيرة كان ترتيبًا مقصودًا، يُراد له أن يبقى في ذاكرة الأطفال والفتية والأجيال⁽⁶³⁾. وفي حديث رئيس البلدية، يمنح التشييع الأحياء "عزيمة وصبر"، لذلك يقول: "يعني هو مشاننا لازم نشيع"⁽⁶⁴⁾.

يجمع التشييع، وفق هذه الأقوال، تكريم الشهداء وإعادة جمع الأحياء حولهم وإنتاج صورة للعودة بعد الحرب، ويحضر في شهادة إمام البلدة أيضًا الاشتياق والألم الذي يتجدّد مع وصول النعوش، فتتداخل معاني القوة والفقد في وصف الحدث. وتضيء هذه الشهادات المعنى العام للتشييع الجماعي، في حين تستند واقعة إعادة تشييع الجثمان الذي انكشف إلى الشهادة الميدانية الخاصة بها كما بين القسم الثالث.

تتجه إعادة التثبيت كذلك إلى المستقبل؛ لإعادة الشاهد وفتح المسار وتنظيم المعلومات تهبيّ إمكان العودة اللاحقة إلى الميت؛ وهو ما يلتقي مع ربط هانز روين العناية بالقبر بفعل يستحضر الماضي ويتجه نحو المستقبل⁽⁶⁵⁾. وتنتج هذه الأفعال المتراكمة أوضاعًا مادية ومعرفية جديدة؛ إذ تغيّرت عمارة الروضة في عيناثا، وأعاد ترميم الرادوف تنظيم أجزاء من المساحة والقبور فوق مواضع الدفن القائمة. وبذلك، تضيف إعادة التثبيت طبقة إلى تاريخ المكان، وتعيد تشكيل شروط استمراره الجنائزي. وتوضح إفادة ابنة شهيد أثر هذه التحولات في علاقتها اليومية بالروضة، حين تصف الوقت الذي تقضيه فيها بعد إعادة بنائها بقولها: "صار أغلب وقتنا تحت وأكثر من قبل حتى"⁽⁶⁶⁾. ففي خبرتها، اقترنت إعادة البناء بتكثيف الحضور بين القبور، وتُظهر الممارسة أن الترتيبات المادية الجديدة تدخل في تجديد صلتها اليومية بموتاهها.

يظلّ استمرار هذه الصلة خاضعًا للسيطرة على المكان؛ ففي عيناثا، أعقب إعادة البناء تدمير إسرائيلي متجدد عام 2026، واجتمع الضرر مع منع الأهالي من العودة والوصول إلى قبور موتاهم بفعل الاحتلال والتهديد بالقتل. ويعطلّ هذا المنع الزيارة والرعاية والتحقق من حال القبور، فيقطع سبيلًا لاستمرار العلاقة بالموتى كانت أعمال الترميم قد أتاح استئنافها. وتكشف هذه الحالة أن إعادة

(63) شهادة إمام البلدة، نقلًا عن المرجع نفسه، الدقائق 17:49-18:13 و 18:32-19:30.

(64) شهادة رئيس بلدية عيناثا، نقلًا عن: "الخط الساخن"، الدقائق 17:05-17:15.

(65) Hans Ruin, *Being with the Dead: Burial, Ancestral Politics, and the Roots of Historical Consciousness* (Stanford: Stanford University Press, 2019), p. 44.

(66) ابنة شهيد من عيناثا.

التشييت تظلّ قابلةً للتعطيل بعد إنجاز البناء، فقد تبقى مواضع الدفن قائمة، في حين يُحرّم الأحياء من بلوغها، ومن ثمّ يتواصل تهجير الموتى بعد الدفن عبر إبعاد الأحياء عنهم، وتعليق الممارسات التي تجعل من القبر موضعاً للعودة.

خاتمة

في المشهد الذي افتتحت به الدراسة، بقيت أسماء وكلمات ظاهرة على شظايا الرخام، في حين تعدّر تحديد القبور التي تعود إليها. يكتّف هذا المشهد ما كشفتته المقارنة، إذ تتوقف إقامة الموتى على روابط تجعل بقاء الجسد في الأرض قابلاً للمعرفة والزيارة والعناية، وحين يصيب العنف هذه الروابط، يمتدّ أثره إلى قدرة الأحياء على مواصلة علاقتهم بموتاهم، وإلى حضور الجماعة الذي تحفظ المقبرة جانباً من تاريخه. وقد أظهرت المقارنة أن بنية الفضاء الجنائزي ونطاق الضرر يؤثّران في كيفية حدوث هذا الاضطراب وفي شروط معالجته؛ فتداخل تدمير الروضة في عيناً مع دمار محيطها، واتخذت إعادة التشييت شكل إعادة بناء جماعية أعادت تنظيم المكان، قبل أن يصيبه العنف الإسرائيلي مجدّداً وبقيد العودة إليه. وفي الرادوف، جرى الفرز والترميم داخل مقبرة استمرت أجزاء منها في أداء وظائفها، واستند العمل إلى ما بقي من العلامات والمعرفة المحلية. وتكشف الحالتان أن إعادة التشييت تجمع العمل المادي والتحقيق من المواضع وتجدد الممارسات، وأن استمرارها يرتبط بقدرة الأحياء على الوصول إلى موتاهم والعناية بهم.

تتمثّل مساهمة مفهوم تهجير الموتى بعد الدفن في معاناة هذه العلاقة وتتبعها بعد استقرار الدفن. فهو يصل الأضرار الظاهرة على القبور بتعطّل المعرفة بالمكان والممارسات التي تستمر من خلاله، ويسمح بقراءة الترميم ضمن تاريخ العلاقة بالموتى وما يطرأ عليها تحت العنف. وتكمن أهمية هذا المدخل في إظهار العمل المجتمعي الذي يتطلبه حفظ مواضع إقامة الموتى وما يحمله من معاني الوفاء والانتماء والتمسك بالأرض؛ فاستعادة القبر تمنح الأهل إمكان الوقوف عند موضع يعرفونه، وتدخل في استمرار علاقات تتجاوز لحظة الدفن وزمن إعادة البناء.

وتحدّد هذه النتائج بحدود الدراسة ومادّتها، فالمقارنة تتناول موقعين ضمن سياقات اجتماعية شيعية في الجنوب اللبناني والضاحية الجنوبية لبيروت، وتجمع روضةً تتكتّف فيها رموز الشهادة والانتماء الحزبي ومقبرة محلية تضم أنماطاً مترامية من الدفن وقبوراً للشهداء ومقاماً دينياً. ويتيح هذا الاختلاف مقارنة تنظيمين للإقامة الجنائزية داخل سياق محدد، مع بقاء تعميم النتائج على فضاءات أخرى في حاجة إلى دراسة مستقلة. لقد تفاوتت إمكانات المعالجة بين الموقعين ومراحل الحرب، وتعكس الشهادات مواقع أصحابها وشروط إنتاجها، بما فيها المواد المصوّرة في سياق إعلامي. لذلك تبقى معرفة حال الأجساد المدفونة وبعض المعاني التي يمنحها المعنيون للطقوس مرتبطة بحدود المادة المتاحة. وتفتح الدراسة مجالاً للبحث في "دفن الوديع"، بما يطرّحه من أسئلة عن الإقامة الجنائزية المؤقتة، وانتظار العودة، ونقل الجثمان إلى موضع الدفن المقصود، والشروط التي قد يتحوّل فيها مكان الإقامة المؤقت إلى مكان إقامة دائم. وتستدعي متابعة أطول زمناً لفحص مصير

المعرفة بالقبور، حين يطول النزوح أو يتعذّر الوصول، وكيفية انتقالها إلى أجيال لم تعرف المكان قبل تدميره. ويمكن توسيع البحث إلى مقارنات بمقابر في بيئات مذهبية ودينية وسياسية أخرى، لا سيما في لبنان، استناداً إلى حالات موثّقة تراعي اختلاف سياقات العنف وأزمته ونطاقه. وتسمح هذه المقارنات بفحص أثر اختلاف تنظيم الدفن وإدارة المقابر ومكانة الموتى في طرائق التعامل مع العنف والضرر وإعادة التثبيت.

في ضوء ما تقدّم، يدخل الموتى في استمرار العلاقات بين الأحياء، ويصبح الاعتناء بمكانهم جزءاً من الاعتناء بما يجمع الجماعة ويحفظ امتدادها في الزمن. وتأخذ المطالبة بالموتى، هنا، معنى التمسك بإمكان مواصلة هذه الصلة؛ أي أن يبقى لهم موضعٌ في المكان، وأن تبقى للجماعة قدرة على العودة إليه.

تنويه وتقدير

أتوجّه بالشكر إلى المشاركين في هذه الدراسة، وإلى من يسّروا العمل الميداني في عيناثا والرادوف وشاركوني معرفتهم بالموقعين وأتاحوا الصور والمواد التوثيقية، وأخصّ بالشكر ريان بسام لإتاحتها الاستفادة من مواد فيلمها الوثائقي وأرشيفها الخاص. وأعبر عن الشكر لهيئة تحرير دورية عمران والمحكمين على ملاحظاتهم التي أسهمت في تطوير الدراسة.

References

المراجع

العربية

خازم، زينب. "إقامة الشهداء: نموذج مقبرة 'روضة الشهداء' الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت: دراسة حقلية إثنوغرافية". رسالة بحث لنيل شهادة دراسات معمقة في علم الاجتماع (فرع الأنثروبولوجيا). غير منشورة. معهد العلوم الاجتماعية. الجامعة اللبنانية. بيروت. 2019.

سمحات، قاسم محمد. عيناثا: قمة في جبل عامل - نوافذ على التاريخ والتراث. تقديم يحيى الشامي. بيروت: دار المحجة البيضاء، 2009.

ظاهر-ناشف، سهاد. "الاعتقال الإداري للجثامين الفلسطينية: تعليق الموت وتجميده". مجلة الدراسات الفلسطينية. مج 27، العدد 107 (صيف 2016).

الأجنبية

Barry, Andrew. "Collective Empiricism and the Material Witness." *Journal of Visual Culture*. vol. 20, no. 3 (2021).

Benjamin, Walter. *Illuminations: Essays and Reflections*. Hannah Arendt (ed.). Harry Zohn (trans.). New York: Schocken Books, 1968.

- De Certeau, Michel. *The Practice of Everyday Life*. Steven Rendall (trans.). Berkeley: University of California Press, 1984 [1980].
- De León, Jason. *The Land of Open Graves: Living and Dying on the Migrant Trail*. Oakland: University of California Press, 2015.
- Deeb, Lara. *An Enchanted Modern: Gender and Public Piety in Shi'i Lebanon*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006.
- Dubberley, Sam, Alexa Koenig & Daragh Murray (eds.). *Digital Witness: Using Open Source Information for Human Rights Investigation, Documentation, and Accountability*. Oxford: Oxford University Press, 2020.
- Dwyer, Sonya Corbin & Jennifer L. Buckle. "The Space Between: On Being an Insider–Outsider in Qualitative Research." *International Journal of Qualitative Methods*. vol. 8, no. 1 (2009).
- Fox, Richard G. (ed). *Recapturing Anthropology: Working in the Present*. Santa Fe, NM: School of American Research Press, 1991.
- Hanafi, Sari. "Explaining Spacio–cide in the Palestinian Territory: Colonization, Separation, and State of Exception." *Current Sociology*. vol. 61, no. 2 (2013).
- Hermez, Sami. "Resistant Ecologies and the Bi'a beyond Methodological Nationalism." *American Ethnologist*. vol. 50, no. 2 (2023).
- Hijazi, Aya. "Toward Spacio–cide: Building the Museum of Tolerance over the Mamilla Cemetery in Jerusalem." *Jerusalem Quarterly*. no. 67 (Autumn 2016).
- Kilde, Jeanne Halgren (ed.). *The Oxford Handbook of Religious Space*. New York: Oxford University Press, 2022.
- Krikler, Noa. "Killing the Dead: The Logic of Cemetery Destruction during Genocidal Campaigns." *Nations and Nationalism*. vol. 29, no. 4 (2023).
- Landry, Jean–Michel. "Community Fashioning: Political Ethics and Shi'i Clerical Training in Lebanon." *American Ethnologist*. vol. 50, no. 2 (2023).
- Lefebvre, Henri. *The Production of Space*. Donald Nicholson–Smith (trans.). Oxford: Blackwell Publishers, 1991.
- Leshem, Noam. "'Over Our Dead Bodies': Placing Necropolitical Activism." *Political Geography*. vol. 45 (2015).
- Mervin, Sabrina. "Les larmes et le sang des chiïtes: Corps et pratiques rituelles lors des célébrations de 'Āshūrā' (Liban, Syrie)." *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*. no. 113–114 (2006).
- Mervin, Sabrina (dir.). *Les mondes chiïtes et l'Iran*. Paris: Karthala, 2007.
- Narayan, Kirin. "How Native Is a 'Native' Anthropologist?" *American Anthropologist*. vol. 95, no. 3 (1993).
- Rizkallah, Amanda. "Foreign Intervention and Internal Displacement: Urban Politics in Postwar Beirut." *International Security*. vol. 48, no. 3 (Winter 2024).

Ruin, Hans. *Being with the Dead: Burial, Ancestral Politics, and the Roots of Historical Consciousness*. Stanford: Stanford University Press, 2019.

Saade, Bashir. "Martyrology and Conceptions of Time in Hizbullah's Writing Practices." *International Journal of Middle East Studies*. vol. 47, no. 4 (2015).

Shalhoub-Kevorkian, Nadera. "Criminality in Spaces of Death: The Palestinian Case Study." *The British Journal of Criminology*. vol. 54, no. 1 (2014).

_____. "Necropenology: Conquering New Bodies, Psychics, and Territories of Death in East Jerusalem." *Identities*. vol. 27, no. 3 (2020).

Thomas, Louis-Vincent. *Anthropologie de la mort*. Paris: Payot, 2010 [1975].

Van Gennep, Arnold. *Les rites de passage*. Paris: Picard, 2011 [1909].

Verdery, Katherine. *The Political Lives of Dead Bodies: Reburial and Postsocialist Change*. New York: Columbia University Press, 1999.